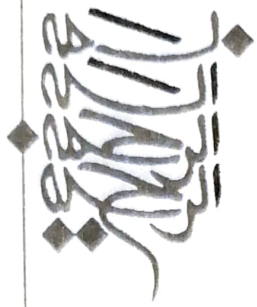


الأستاذ محمد تقي مصباح الزبدي

الفقراء



دار التعارف للمطبوعات



تعدد القراءات

تعدد القراءات

الأستاذ الشيخ محمد تقي مصباح يزدي

المترجم:

ماجد الخاقاني

دار المعارف للبرهان
بيروت - لبنان



حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م

دار التعارف للمطبوعات

لبنان - بيروت - حارة حريك - شارع دكاش - بناية الحسين

ص.ب: ٦٤٣ - ١١ - ٨٦٠١

هاتف: ٢٧١٩٠٧ - ٢٧١٩٠٨ - ١ ٢٧١٩٠٨ ٠٠٩٦١ - فاكس: ١ ٢٧١٩٠٨ ٠٠٩٦١

موبايل: ٨٢٣٦٢٠ ٣ ٠٠٩٦١

المقدمة

من اهم الهواجس التي طالما شغلت الانسان، الفهم الصحيح وكما ينبغي للنصوص الدينية. فلقد ادى تقادم الزمن والابتعاد عن عصر نزول الوحي الى صعوبة الظفر بهذا الامر وتفاقم هذا الهاجس.

وبالرغم من ان ائمة الدين كانوا منذ البداية على علم بهذه القضية وقد وضعوا بين ايدي مخاطبيهم سبيل التوصل للفهم الصائب واطلقوا التحذيرات الضرورية إزاء المخاطر الداهية، بيد ان البعض لجهلهم، وآخرين عالمين عامدين قفزوا عليها واطأوا المسير فوقعوا في خاتمة المطاف في فخ التفسير بالرأي للنصوص الدينية.

ولغرض الايحاء بصحة ما اقترفوا من خطأ، دأب المفسرون بالرأي على اختلاق المبررات وقدموا ولازالوا يقدّمون الادلة على هذا الفعل الخاطي، ومن احدث ما ابتدعته هذه الفئة، القول بامكانية تقديم معاني مختلفة - وان كانت متناقضة - للنص الواحد، وهذا ما سمي بـ«تعدد القراءات» فكان له مناصرون ومخالفون في عصرنا.

وبالرغم من عدم تناول بعض الدعاة داخلياً لهذه النظرية من الناحية العلمية كما ينبغي، وتركز حديثهم بأغلبه في اطار ميولهم وتوجهاتهم السياسية، غير ان ثمة علماء صالحين ومن خلال ادراكهم لمقتضيات الزمان وضرورة إثارة هذا الموضوع، انبروا لبيانه والرد على الشبهات التي يثيرها المنحرفون فكرياً في الوقت المناسب.

وفي غضون السنوات الماضية تطرق الاستاذ الجليل سماحة آية الله الشيخ مصباح اليزدي «دام ظله» لبيان هذا الموضوع وتوضيح زواياه وطرح ملاحظات قيمة في هذا المجال، وذلك اثناء محاضراته المتعددة وفي مختلف المحافل العلمية والثقافية.^(١)

هذا الكتاب ملخص لتلك الابحاث تقدمه بين يدي اهل العلم ليساهم في ازالة شيء وان كان قليلا من الغبار الذي تثيره شبهات اصحاب نظرية تعدد القراءات، ولكي يزيد المفسرين للنصوص الدينية دقة وعمقاً في الرؤية، ويعمل على ترصين ثغور العقيدة والايمان.

وفي الختام نرى لزماً ان نتقدم بالشكر والتقدير لسماحة حجة الاسلام غلام علي عزيزي الذي تحمّل عناء تحقيق هذا الكتاب وتدوينه باللغة الفارسية، آمليين ان يحظى هذا الجهد المتواضع بالقبول من لدن

١. أُلقيت هذه المحاضرات قبل خطب صلاة الجمعة في طهران وأثناء اللقاء بأساتذة وطلبة جامعة طهران، وفي حسينية الشهداء بقم، والمقابلة مع مجلة المعرفة، كما صدر قسم من موضوعات هذا الكتاب في العدد ٤٨ من مجلة المعرفة، وقسم آخر في مقالة ضمن كتاب «قراءة الدين» ووردت فصول منه أيضاً ضمن كتاب النظرية الحقوقية في الاسلام: ج ٢.

الباري تعالى ويكون سبباً في نيل رضا الامام ولي العصر ارواحنا فداه.
يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَّا الضُّرَّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ
وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ

مركز اصدارات مؤسسة الامام الخميني رحمته الله للتعليم والبحث

الفصل الاول

بيان الادعاء، ومقومات الظهور

معنى القراءة

القراءة لغة تعني التلاوة، واصطلاحاً تعني كيفية قراءة الفاظ آيات القرآن الكريم، وقد ظهرت كعلمٍ مستقل في جملة علوم القرآن وآلف العلماء والباحثون في القرآن عشرات الكتب بشأنها، تناولت بعضها بيان القراءات المختلفة لبعض الآيات،^(١) فيما اختص بعضها الآخر بالدليل على كل قراءة^(٢).

في الكثير من هذه القراءات تُقرأ الآية بصيغ متعددة دون نقص أو زيادة حرف فيها من قبيل القراءة بتخفيف الهمزة أو نبرها أو قراءة الكلمة بالروم أو الاشمام أو الامالة أو التشديد والتخفيف^(٣)، فمثلاً قرأت «يَطْهَرْنَ» في الآية ٢٢٢ من سورة البقرة «يَطْهَرْنَ» أيضاً، وقد يكون الاختلاف في القراءة بنقص أو زيادة حرف في الكلمة - حسب ما

١. قام بعض المؤلفين بجمع كافة موارد الاختلاف في قراءة الآيات القرآنية عن مشاهير القراء.

من قبيل «معجم القراءات القرآنية» تأليف احمد مختار عمر وعبدالعال سالم مكرم.

٢. مثل «الحجة في علل القراءات السبع» تأليف ابي علي حسن بن احمد الفارسي.

٣. للاطلاع على هذه المصطلحات، راجع كتب تجويد القرآن.

يقتضيه بعض الأساليب في رسم الخط - مثل «مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ» في سورة الفاتحة حيث تُقرأ «مَلِكِ يوم الدين» أيضاً وإن كان يكتب على شكل واحد (مَلِك) حسب بعض الأساليب.

والآن تستخدم القراءة بمعنى جديد لا علاقة له بكيفية قراءة الالفاظ والعبارات، بل هي متعلقة في كيفية تفسيرها، ولا شأن أو ترابط للقراءة في هذا الاستخدام مع القراءات المتعددة للقرآن التي عُرِفَت منذ القدم بين المسلمين بعنوان أنها «فن» وعلم خاص، بل لها منشأ آخر نتطرق اليه فيما بعد. فالمراد من تعدد أو تكثر القراءات في هذا الاستخدام هو امكانية تعدد الفهم والاستنباطات التي قد تكون متناقضة من عبارة واحدة أو نص واحد واعتبارها صحيحة ومقبولة بأجمعها ولا يمكن القول بطلان اي منها.

ادعاء نظرية تعدد القراءات

ان تعدد قراءة النصوص لاسيما النصوص الدينية هي عبارة عن القبول بعدة معاني يستحيل الجمع بينها لنص واحد، وبالرغم من ان هذه المعاني غير قابلة للجمع بذاتها لكنها تُصور على انها ممكنة الجمع، وقد جرى تبرير اعتبار امكانية الجمع بين معاني متعددة بصيغتين: الاولى ان يكون للفظ معنيان أو عدة معاني متضادة لكنها صحيحة بأجمعها. والثانية: ليس لأي من هذه المعاني افضلية ورجحان في مقام العمل على بعضها

البعض، وأي واحد منها نقبله فهو صحيح بالرغم من عدم علمنا أيها مطابق للواقع.

الممهدات لطرح نظرية تعدد القراءات في الغرب

الغرب هو منشأ ومهد طرح قضية تعدد القراءات، بناءً على هذا ولغرض الخوض في بحث هذه الشبهة، يتعين أولاً دراسة أهم الأسباب في ظهورها بالغرب. فيبدو ان هنالك سببين مهمين هما الدافعان لطرح هذه النظرية نتناولهما بالايضاح فيما يلي:

١- عدم انسجام مضمون الكتاب المقدس مع الاكتشافات العلمية

لقد كانت الكنيسة تبسط حكومتها قديماً على اجزاء من أوروبا، وكانت حكومة البابوات إما مستقلة تارة وإما بمعونة من عملاتهم الحكام أو حلفائهم تارة أخرى، وقد خلقت حقبة حاكمية الكنيسة مشاكل اقتصادية وسياسية واجتماعية للمجتمع الاوربي، وخلفت حروباً مديدة. واستمرت هذه الحقبة التي عُرفت بالقرون الوسطى أو المظلمة حتى القرن السادس عشر.

منذ هذا القرن وما تلاه انطلقت عملية تغيير شامل في اوروبا امتدت تدريجياً حتى شملت كافة الميادين الاجتماعية، فتغير الدين والفلسفة والاقتصاد والسياسة والحقوق وغيرها. وعُرفت انطلاقة هذه الحركة

بـ«النهضة»^(١) أو الولادة الجديدة، أي ان المجتمع الاوربي الذي كان قد امضى عمراً تحت سيطرة الكنيسة والمسيحية - حيث يقولون ان الحاكم في هذه الحقبة كان هو الله - قد وُلد من جديد.

ان هذا التغير يمثل في الواقع ردة فعل على حقبة القرون الوسطى، وفي هذه المرحلة الجديدة يحل الانسان محل الله، وذاك ما عُبِّر عنه في الآداب الفلسفية بـ«محمورية الانسان»^(٢)، والمراد من محورية الانسان هو ان الله كان في ما مضى محوراً للأفكار والعلوم وكل شيء، وان المحور من الآن فصاعداً هو الانسان، ومن بين عواقب هذا الفكر ان نبحث عن حقوقنا بدلاً من سعيها وراء تكليفنا امام الله، وندع هاجس التكليف جانباً.

ومن جملة الامور التي مهّدت لهذه النهضة هو عدم انسجام الاكتشافات العلمية مع فحوى الكتاب المقدس، ورويداً رويداً تبين عدم امكانية القبول بـ«الموضوعات العلمية» و«فحوى النصوص الدينية» الى جانب بعضها البعض، وان قصة اكتشاف دوران الارض حول الشمس نموذج معروف لهذا التناقض، فقبل هذا الاكتشاف كان علماء الكنيسة يعتقدون بان الارض مركز الكون والشمس تدور حولها، ولكن بعد جهود علمية بذلها علماء من قبيل كبرنيك وكبلر وغاليليو وغيرهم اتضح ان الارض وسائر كواكب المنظومة الشمسية تدور حول الشمس.

1. Renaissance.

2. Humanism.

فاعُتبرت هذه القضية ضرباً من التناقض والتضاد بين العلم والدين، وشيئاً فشيئاً تعرضت سائر الموضوعات التي تحتويها هذه النصوص الدينية المحرّفة للتحدي، فتوصلوا الى هذه النتيجة وهي إما ان يُقبل العلم والعقل ويقصى الدين جانباً وإما أن يُقبل الدين ويُصرف النظر عن العلم والعقل.

وبظهور هذا التيار، انبرى بعض الواعين لفوائد التدين - من قبيل التكامل الاخلاقي للناس وضبط سلوك البشر - وكانوا معارضين لإزالة الدين، للمصالحة بين العلم والدين الذي يحظى بقبول الكنيسة. وبهذا الاتجاه سلكوا سبلاً متعددة كانت سبباً في حدوث تطورات في الفلسفة والكلام وسائر فروع العلوم الانسانية. وجراء هذه التطورات تبلور علم يسمى اليوم بـ«فلسفة الدين» طُرحت فيه ابحاث مختلفة من قبيل: التعددية في الدين، لغة الدين....الخ.

السؤال الاساسي في بحث «لغة الدين» هو: هل ان لغة الدين لغة تكشف عن الواقع؟ هل ان اللغة المستخدمة في النصوص الدينية هي تلك اللغة العرفية واللغة التي تستخدم في التحاور بين الناس بحيث تصور الحقيقة للمخاطب؟ أم انها لغة اخرى لا تصور فحوى الكلام للمخاطب بالاسلوب المتعارف^(١).

١. يجري ضمن موضوع لغة الدين بحث أنواع مختلفة من اللغات من قبيل: اللغة العرفية والكاشفة عن الواقع، اللغة العلمية - الدقيقة - لغة الشعر، اللغة الرمزية...الخ، وعلى أية

لقد قال أصحاب المصالحة بين العلم والدين ان لغة الدين لغة اخرى، وان السر في تصور عدم انسجام موضوعات الكتاب المقدس مع اكتشافات كبرنيك وسائر العلماء يكمن في انهم افترضوا ان لغة التوراة هي كاشفة عن الواقع، لكننا لو تصورناها لغة رمزية - مثلما لمفردات «الشراب» و«الخمر» و«الكأس» وما شابهها معنى خاص في كلام الشعراء - اذ ذاك ستُحل مشكلة التناقض. وبناءً على هذا فقد كان الدافع وراء طرح قضية لغة الدين في علم الكلام الحديث وفي فلسفة الدين هو ان يشقوا طريقاً لازالة تناقض النصوص الدينية (التوراة والانجيل) مع الاكتشافات العلمية.

٢- النزاعات الدينية

الواقعة الاخرى التي طرأت بعد عصر النهضة في اوربا هي النزاعات والصراعات الدينية^(١) وجاءت هذه القضية بعد ان قام مارتن لوتر

حال فقد جرى القبول في المجتمع الانساني بلغات اخرى عدى اللغة العرفية والدارجة، مثل لغة الشعر، فديوان الشاعر حافظ بالرغم من انه باللغة الفارسية ونحن على معرفة بمفرداته، لكن الكثير من العلماء لاسيما العرفاء وكبار اديبائنا يعتقدون ان المعاني التي يفهمها الناس حسب عرفهم من كتاب حافظ ليست هي مراده، فمثلاً حينما يتحدث عن «الخمر» فليس مراده الخمر المُسكر بل مراده معنى آخر ورد في الكتب التي توضح مصطلحات العارفين، وكذلك اللغات الرمزية التي تحمل رمزاً حيث يختلف فيها ظاهر كلام المتحدث مع ما يريد، ولا يحيط بفحوى كلامه سوى الذي يعرف ذلك الرمز.

١. هنالك اليوم ما يقرب من ألف طائفة مسيحية معروفة في العالم -بالاضافة الى مذاهب الكاثوليك والبروتستانت والارثوذكس - والبروتستانت وحدهم هم اكثر من خمسمائة فرقة!

وكالفن وغيرهما بتأسيس مذهب جديد يسمى «البروتستانتية» في مواجهة الكنيسة الكاثوليكية، فلقد قَدَّم هؤلاء تفسيراً خاصاً للكتاب المقدس وحصلوا على انصار في البلدان الاوربية لاسيما في شمال اوربا، فظهرت الطائفة البروتستانتية الكبرى وتبعت ذلك حروب دامية بينهم وبين الكاثوليك دامت سنوات طوالاً، ولما تزل نماذج من هذه الصراعات قائمة في بعض الدول الاوربية مثل ايرلندا.

وبغية إنهاء الصراعات الدينية فقد اقدم مصلحوا المجتمع على ابتكار نظرية فطرحوا التعددية الدينية والقبول بقراءات متعددة، فقالوا ان جميع الاديان صحيحة، وعلى هذا الاساس فلا الكاثوليك مخطئون ولا البروتستانت مبتدعون. ولا سائر الاديان باطلة، اذ للنصوص المقدسة اكثر من معنى واحد، وهذه المعاني تُعتبر في عرض بعضها ولا رجحان لايٍّ منها على الآخر.

بناءً على ما قلنا ان الدافع وراء طرح التعددية وتعدد القراءات للدين^(١) يتلخص في سببين: الاول: عامل فكري - وهو ايجاد الانسجام بين مضمون الكتاب المقدس ومكتسبات العلوم التجريبية -، والثاني: عامل سياسي اجتماعي - وهو وضع نهاية للحروب الدينية -.

١. سيأتي قولنا فيما بعد: ان نتيجة هذه النظرية هي انه لا حقيقة لأَيٍّ من الأديان والمذاهب، فلو كانت جميعها حقيقية وصحيحة فحاصل ذلك هو الجمع بين النقيضين وهو محال.

الغايات والدوافع من طرح موضوع تعدد القراءات في ايران

١- الدافع السياسي

لا وجود في ايران لأي من السببين الذين تقدم ذكرهما فيما يخص الغرب، فلم تقع حرب منذ مئات السنين على اقل تقدير وحتى الآن - وهو تاريخ مدون ومعروف لدينا - بين الاقليات الدينية وبين المسلمين أو فيما بين مختلف المذاهب الاسلامية كي نلجأ الى تعدد القراءات لإخمادها، ولنقول ان النصارى واليهود والمسلمين والزراشت بأجمعهم يقولون صدقاً وحقاً وبذلك نضع حداً للحرب وسفك الدماء!

والدافع الثاني للغربيين - وهو تعارض العلم والدين - ليس مطروحاً في ايران ايضاً، فلا وجود في الدين الاسلامي وفي المصادر الاسلامية الاصلية - القرآن والسنة اليقينية - لمضامين لا تنسجم مع مسلّمات العلوم.^(١)

وبانتفاء الاحتمالين المتقدمين يتسنى التخمين وبقوة بان الدافع وراء طرح موضوع تعدد القراءات في ايران هو دافع سياسي، وانه لاحتمال في غاية التفاؤل اذا قلنا ان هنالك أناساً تحدوهم النوايا الحسنة والرؤية المستقبلية وتجنب حدوث اختلاف في صفوف المسلمين الثوريين فهم

١. ثمة اختلافات - بالطبع - في النصوص الدينية المظنونة وغير القطعية - ذات السند أو الدلالة غير القطعية - وهذا ليس بالأمر الجديد، فهكذا هو الحال منذ أكثر من ألف سنة وحتى الآن، بل لا مناص من ذلك في أي دين ومذهب، وحتى في أية مجموعة من الافكار والآراء النظرية - غير البديهية -.

يسعون منذ الآن لضمان وحدة المجتمع بتسويغهم وتصويبهم لفهمين أو أكثر للنصوص الدينية.

لكن الظن القوي في هذا المجال يدور حول الدافع السياسي، فلقد اصدر المستعمرون والذين يعملون من اجل عولمة الثقافة الغربية، تعليماتهم لعملائهم في شتى البلدان لتمهيد الارضية الثقافية لهذا الأمر، ومن جملة التمهيد لهذه الأرضية اعداد الناس لتقبل الافكار والآراء المتضادة، لانه مادام الآخرون - المسلمون مثلاً - يتمسكون بحقانية عقيدتهم فلن تتمهد الارضية لعولمة الثقافة الامريكية.

ولاجل هذا يتعين تعويد الناس شيئاً فشيئاً على التساهل والتسامح وقبول افكار الآخرين وعدم التعصب لمعتقداتهم الدينية، كأن لا يختلف الامر لديهم بين خاتمية نبي الاسلام ﷺ أو موسى عليه السلام، لاسيما اذا تقرر عدم العمل بأي من الاديان واعتبار تاريخ استهلاكها منتهياً، فلن يكون هنالك دافع لاثبات حقانية الاسلام. وفي هذه الأثناء قد يراود الشك بعض الخواص ايضاً في ما اذا كانت الاحكام الاولية في الاسلام دائمية وخالدة ام انها قابلة للنسخ والتغيير؟

هذه بعض الآثار المضرة لما يتحدث به ويكتبه المروجون للتعددية الدينية الذين شحذوا همهم للقضاء على الاسلام، وقد تغلغلوا داخل الحكم في بعض البلدان الاسلامية وللأسف.

اذن لابد من إضعاف المعتقدات الاسلامية كي تتمهد الارضية لرواج

الثقافة الغربية والثقافة العالمية - أي الأمريكية - داخل البلدان الإسلامية، وهذا الإضعاف يأتي بهذا النحو وهو ان نقول ان المعنى الذي فهمتموه لحد الآن من النصوص الدينية يعود الى الماضي وقد انتهى تاريخ استهلاكه! لقد استدعت الضرورة في عهد النبي ﷺ مثل هذه الاحكام، ولكن لا طائل منها في هذا العصر! بل من اين لكم القول ان القرآن كلام الله؟ فالقرآن كلام النبي، والنبي ﷺ انسان والانسان يتعرض للخطأ، اذن قد تكون احكام القرآن ومضامينه خطأ ايضاً! وتبعاً لذلك تُطرح نظرية قابلية القرآن للنقد، ونظرية قابلية القرآن للنقد انما تعني في الحقيقة كذب بعض مضامينه! ولكن نظراً لافتقار القائلين بقابلية القرآن للنقد لجراءة القول بكذب القرآن فانهم يطرحون هذا الأمر في اطار آخر فيقولون ان مرادنا من القابلية للنقد هو الفهم الشائع للقرآن، وقد أسماه الفهم او القراءة «التقليدية».

انهم يزعمون ان حقيقة القرآن أمر يختص به الله وحده ولا علم لأحد به حتى النبي ﷺ! واذا ما ادلى النبي ﷺ بشيء على انه قرآن فذاك تصوره وفهمه الشخصي، وبما أنه يمكن تصور الخطأ فيه فهو قابل للنقد! واذا ما سألتهم هؤلاء: بأي معيار توجهون النقد للقراءة التقليدية للقرآن؟ فيقولون: من خلال عرضها على العلوم البشرية. ومعنى هذا الكلام ان الاصاله للنظريات العلمية التي قدمها العلماء في العلوم البشرية وهي متغيرة بشكل بديهي، ويجب تقييم القرآن في ضوء هذه النظريات.

انهم يصرحون بانه لا توجد احكام اجتماعية في الدين، وان عقائده هي نظريات واستنباطات شخصية تعتمد على التجربة الشخصية للأفراد، ومن هنا لا قيمة لها من الناحية العلمية. وبالتالي يصل الأمر بهم الى ان يقولوا ان وجود الله ليس مما يمكن اثباته ايضاً، وان الادلة الفلسفية التي أُقيمت لاثبات وجود الله مشكوك بها جميعاً!

من الطبيعي انه لا يتصور عندئذ معنى للدين مع وجود مثل هذه النظرية والمضامين، ولكن بما ان هؤلاء المنحرفين فكرياً لا يمتلكون الجرأة على الادلاء بهذا الأمر بصراحة فانهم يطرحونه تحت غطاء القراءات الجديدة، وليس مبالغة اذا ما قلنا ان نظرية القراءات الجديدة هي الحيلة الاشد خطراً ومكراً التي جرى التفكير بها لحد الآن للقضاء على الدين والتدين ومحوهما.

٢. الدافع النفسي

بالاضافة الى العامل المتقدم، فان هنالك ضرباً من الضعف النفسي والانبهار بالغرب ادى بالبعض للانكباب على موضوع تعدد القراءات، فلقد اصيب هؤلاء بالرعب ازاء عالم مستحضر حقق تقدماً صناعياً واقتصادياً رائعاً وباهراً بحيث انهم تقبلوا سائر نظرياته، كما هو حال الذين يستندون الى نظرية يطلقها نجم سبنمائي أو بطل رياضي في الشؤون السياسية، متوهمين ان نظريات مثل هؤلاء تحظى بالاعتبار في

مجال القضايا السياسية ايضاً. وهذا ما يحصل للذين لا يتمتعون بالثقة بالنفس ويفتقرون للشخصية القوية. من هنا من الممكن اعتبار هذا العامل عاملاً نفسياً يحفز على الاقبال على نظرية تعدد القراءات. كما ان البعض تحركهم الدوافع الخيرة فيحاولون اجتذاب الناس لاسيما الشباب نحو الدين، ولهذا الغرض فانهم يطرحون تعدد القراءات في النصوص كي لا تتضارب النصوص الدينية مع النظريات العلمية الرائجة.

الممهدات لنمو نظرية تعدد القراءات في ثقافتنا

ان لموضوع تعدد القراءات جذوراً ثقافية في مجتمعنا وهذا ما ادى الى سرعة رواجه في بلادنا، ونحن هنا نمر مروراً سريعاً على هذه الجذور:

١- القراءات المختلفة لآيات القرآن

من سوابق معرفتنا بالقراءات المختلفة، القراءات المختلفة للقرآن، فلقد وردت قراءات مختلفة لبعض آيات القرآن منذ صدر الاسلام، فتارة تقرأ آية واحدة بشكلين أو اكثر من القراءات، مثل «مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ»^(١) التي قرأت وتقرأ «مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ». وهذا ما يؤدي الى ان يسري تعدد قراءة الفاظ الآيات الى موارد غيرها، فمن الطبيعي ان يؤول تعدد القراءات في بعض هذه الموارد الى تعدد المعاني فتكون كافة تلك المعاني محتملة

ومقبولة، ويمتدّ هذا التعميم حتى يصل الى المسائل ذات الادلة العقلية (غير اللفظية) فيُعبر عن تعدد الآراء - الآراء التي لا يُرجح بعضها على بعض - في مثل هذه القضايا بتعدد القراءات.

وبما ان الدين يتضمن اقساماً عديدة وهو يُقسم - على صعيد اهم تقسيماته - الى اصول وفروع، فان تعدد القراءات يثار بشأنها ايضاً، وان تعدد الآراء واختلافها في الفروع والاحكام العملية يفوق نسبياً الاختلاف في اصول الدين. ومثال ذلك الاختلاف في آراء المجتهدين حول المسائل والاحكام الشرعية في زمن غيبة الامام المعصوم عليه السلام. وتعدد القراءات مما يمكن تصويره في بعض الموارد - وان قلّت - في الاصول والمعتقدات الدينية من قبيل اختلاف الآراء حول كيفية السؤال في الليلة الاولى داخل القبر. فأصل السؤال من الميت في الليلة الاولى داخل القبر يعدّ امراً اجماعياً لا نقاش فيه، لكن الاختلاف في كيفيته. فثمة احتمال بان تعود الروح الى البدن ويحيى البدن الذي في القبر، والاحتمال الآخر هو ان تُسأل الروح فقط ولا دور للبدن في ذلك، وهنالك احتمال ثالث وهو ان الروح تتعلق بالبدن البرزخي وان السؤال يتعلق بهذا البدن. ونحن هنا لسنا بصدد الحكم في هذه القضية وانما اردنا التذكير بمصداق لاختلاف الرأي حول المسائل الاصولية والعقائدية فقط.

وسياتي قولنا لاحقاً ان وجود مثل هذا الاختلاف في وجهات النظر مقبول بصيغة (الموجبة الجزئية) بما يعنيه ذلك من وقوع مثل هذه

الاختلافات أحياناً، إلا أن المعتقدات والاحكام الأساسية في الاسلام موضع اتفاق واجماع ولا يشملها الاختلاف الواقع في القراءات للفاظ ومعاني القرآن والحديث.

من خلال الايضاح الذي قدمناه تبين ان «تعدد القراءات» قد اتخذ معنىً أوسع. فقد اقتصر في البداية على قراءة اللفظ، ثم تطور الى تعدد المعاني، وفي المرحلة الثالثة امتد الى تعدد الفتوى في الاحكام الفقهية، وفي الرابعة امتد ليشتمل على اختلاف الرأي في المسائل العقائدية والكلامية ايضاً، وقد تحقق نظير هذا المسير من التغير في مفردة «القراءات» في أوربا قبل اكثر من اربعمئة عام.

ومؤخراً ظهرت نظرية جديدة بعنوان انها نظرية فلسفية شاعت في اوساط فلاسفة أوربا المعاصرين، ومن ثم في العالم الغربي بأسره، لا يرون فيها اقتصار تعدد القراءات على النصوص أي الكتابات والمقروءات. واستناداً لهذه النظرية فان كلام الاشخاص بل اكثر من ذلك أي قضية يمكن تصوّر انعكاسها في ذهن الإنسان يمكن ان تكون ذات معاني متعددة. وقد عرفت هذه بنظرية «التفسير التأويلي».

وفي الوقت الحاضر فان المراد ان نعرف من اين جاءت «القراءات المتعددة» وكيفية نشوئها وامتزاجها ودخولها الى ثقافتنا، هذا المصطلح الذي لم يكن له وجود في الماضي - الى ما قبل خمسين عاماً مضت - في الكتب الاسلامية بالمعنى المتداول في يومنا هذا.

٢. وجود الآيات المتشابهة

لقد انزل الله سبحانه وتعالى ومن أجل بعض المصالح، بعض آيات القرآن الكريم بنحو متشابه. والآيات المتشابهة تُطلق على الآيات ذات الاحتمالات المتعددة وتحمل تفسيرات مختلفة، من هنا فان تفسيرها يستدعي المزيد من الدقة والتمعن، وبالتالي ربما يقدم المفسرون تفسيرين او عدة تفاسير لآية بحيث لا يكون من السهل اثبات رجحان واحد منها وإنما يمكن القبول بها جميعاً. فوجود هذه التفاسير المتعددة ربما يكون سبباً في القبول بتعدد القراءات والتعددية الدينية ايضاً.

٣. التفسير بالرأي

الى جانب المعنى المقبول لـ «التفاسير المتعددة» هنالك مصطلح آخر يسمى «التفسير بالرأي» وهو ذو قيمة سلبية، والمطلعون على الثقافة القرآنية على معرفة به.

ان التفسير بالرأي من الاساليب المرفوضة المذمومة في تفسير القرآن أو الاحاديث. وهو ان يقدم المرء معنى لآية أو حديث وفقاً لما يشتهي دون ان تؤيده قواعد وضوابط فهم الكلام واصول الحوار العقلاني، وهذا يدل على عدم مقبولية هذا النمط من التفسير. وعلى أية حال فان وجود هذا النوع من التفسير يمهد لوجود تعدد القراءات. وسيأتي قولنا فيما بعد ان وجود القراءات المتعددة بمختلف

مصطلحاتها لا يعني ان كافة الآيات لها تفاسير متعددة، أو مع افتراض وجود تفاسير متعددة فبالامكان انتقاء أحدها اعتباطاً وبعيداً عن الضوابط. بل يجب ان يكون تفسير كل نصٍ على اساس القواعد المتعارفة واصل الحوار العقلاني.

٤- تأويل الآيات

تستخدم مفردة «التأويل» احياناً بمعنى التفسير، إلا ان المراد منها احياناً هو الحقائق غير المادية التي تشير اليها الآيات وهي خارجة عن نطاق ادراكنا. والقرآن الكريم بنفسه يصرح بوجود تأويل للقرآن بقوله:

«فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ»^(١)

جرت الاشارة في هذه الآية - بالاضافة الى القبول بتأويل جميع الآيات - الى سعي الذين زاغت قلوبهم للتوصل بتأويل القرآن مستفيدين من الآيات المتشابهة. ومفردة «تأويل» لها علاقة مع ما هو معروف الآن في الغرب ويسمى بـ«التفسير التأويلي» لان الاخير - في ضوء اصل المفردة - يشابه التأويل في معناه. ان وجود التأويل في ثقافتنا القرآنية سبب في اثارة «التفسيرات التأويلية» وهناك أناس يحاولون اثارة هذه الامور بشأن القرآن مستعينين بافكار «هايدجر» و«جادامر» وآخرين ليحصلوا على النتائج التي يطمحون اليها.

٥- تعدد تفاسير بعض الآيات

ان لبعض آيات القرآن الكريم - وان كانت قليلة - تفاسير متعددة ويذكر المفسرون في ذيلها وجوهاً ومعاني متعددة لها وقد لا يثبت رجحان اي منها. وقد مهد هذا الأمر لتعميم تعدد القراءات على سائر الموارد، واستناداً الى هذه الموارد القليلة انبرى البعض للايحاء بصحة كافة التفاسير المتعددة الخالية من الضوابط لكل المفاهيم الدينية.

٦- البحث في ظاهر وباطن القرآن

ورد التصريح في روايات عديدة عن النبي ﷺ واهل البيت عليهم السلام بوجود باطنٍ لآيات القرآن، وفي بعضها جرى التصريح بوجود سبعة معاني باطنية لآيات القرآن. واستناداً لهذه الروايات من الممكن الاعتقاد بمعنى واحدٍ أو عدة معاني باطنية للقرآن، بالاضافة الى معناه الظاهري. وقد حاول ادعياء تعدد القراءات - مستغلين هذه الأرضية الثقافية - طرح افكارهم الفاسدة تحت عنوان انها قراءة جديدة للنصوص الدينية، فعندما يُسألون عن الدليل أو الشاهد على تفسيرهم أو قراءتهم فانهم يجيبون: ان النصوص الدينية ذات بواطن ومعاني متداخلة وهي جميعها في عرض واحد وصحيحة، وكلامنا هذا من جملة هذه المعاني!

اهمية شبهة تعدد القراءات

ربما يمكن القول ان اهم شبهة طرحت لمحو الدين وابعاد الناس عن

الهداية الالهية وعن تعاليم الانبياء ﷺ هي شبهة تعدد القراءات، فمنذ ان خلق الله تعالى آدم وشحذ الشيطان همته لاغوائه بشتى الاساليب لم يتهدد الدين خطرٌ ولم توجه لمعتقدات الناس طعنة بمثل شبهة تعدد القراءات! وان هذا الخطر من الالهية بحيث ينسف بسهولة كل اهداف الانبياء ﷺ والكتب السماوية، لان هذه الشبهة لا تقتصر على دين أو كتاب سماوي، فاذا ما اراد أحد فهم التوراة الحالية - بما تبقى فيها من بعض المضامين الصحيحة - فسيقال له: ان هذه قراءتك ونحن لنا قراءتنا، وعلى هذا الاساس حتى لو كانت كلتا القرائتين متناقضة فانه يمكن قبولهما معاً أيضاً.

وفي بلادنا الآن نماذج لهذه القراءات، ولربما لم نكن لنصدق ان عاقلاً يقبل فرضية على اساسها يكون لنص واحد معنيان متناقضان وكلاهما يعتبر صحيحاً لو لا انا قد شاهدنا ذلك عياناً! فلقد بلغ الأمر اليوم بهؤلاء المدّعين انهم لا يرون حاجة لان يبرروا ادبياً تفسيراتهم وليسوا ملزمين في هذا المجال بأي قاعدة أو قانون! انهم يعتقدون بان القواعد الادبية ومعرفة معاني الكلمات واصول الحوار العقلاني ليست معتبرة في فهم النصوص الدينية، والملاك هو ما يمتلكه المخاطب من ذهنية خاصة ومن فهم يحمله لهذا النص بمقتضى موقعه، من هنا فليس من وازع يقف امام تقديم معنى لآية او رواية وهو يتنافى مع قواعد الادب العربي والفهم العرفي! والأدهى من ذلك انهم يطرحون قراءة

جديدة لكل الاسلام بغض النظر عن الآيات والروايات والادلة العقلية، ويسمّون فهم المسلمين منذ صدر الاسلام وحتى الآن قراءة تقليدية. وهم يؤكّدون: «ان الله خالق ومبدع الكون والانسان، وهو يرتضي الانسان ومدنيته، وقد خلقه بنحو يعالج مشكلات حياته بالعواطف والعقل والمنطق.... والانسان هو الذي يتحمل مسؤولية ادارة شؤون الحياة وذاك ما نسميه بالمدينة والحضارة»^(١)

وعلى هذا الاساس فان كل ما يخضع لمقولة الثقافة والحضارة والمدينة ومن بين ذلك الاحكام الحقوقية والجزائية، والعلاقات الدولية، والقضايا العقائدية والقيم الاخلاقية... الخ موكولة للانسان! ومعنى هذا الكلام ان الله لم يضع حكماً بخصوص الرجل والمرأة ولا منهجاً للحياة الزوجية وما شابه ذلك، بل الصحيح هو ما اراده الانسان، وبما ان الناس يعيشون في امصارٍ شتى فهم يختلفون وربما يتناقضون بالثقافات والرغبات، اذن لابد ان تكون كافة الاستنباطات صحيحة.

وادهى من ذلك انهم قالوا: القضية هي ان اثبات حقانية أو بطلان دين ما بشكل قطعي اصبح متعذراً في الوقت الراهن، ولا سبيل أمامنا لان نقول ان الاسلام حق أو باطل! من هنا لا فرق بين الاسلام وبين سائر الاديان والمذاهب!

١. راجع: نقد قرائت رسمي از دين، محمد مجتهد شبستري: ص ١٠٣ - ١٠٤ و ص ٤٩٩

وهو باللغة الفارسية.

ينبغي القول للرد على هؤلاء: لو ان الله يرتضي مدنية الانسان بهذا المعنى وبهذه اللوازم، فلماذا كانت بعثة الانبياء وانزال الكتب السماوية؟ واذا لم يكن ممكناً اثبات بطلان أو حقانية دين ما فان جمهور كافة الانبياء كانت عبثاً، لان كل ما يأتون به يحتمل تفسيرات متضادة بحيث ان الطرف الذي يعاكس اهدافهم سيكون صائباً ايضاً!

ان اهمية هذه الشبهة بالمستوى الذي تنبري فئة عند ظهور الامام صاحب العصر (عج) لمواجهة ثقافياً بهذه الحرب، وان هؤلاء يعسرون الامور عليه عليه السلام بحيث تفوق محنته وشدته - استناداً الى بعض الروايات - في عصر الحداثة وانتشار الحضارة المادية للانسان، معاناة رسول الله صلى الله عليه وآله في هدايته لعرب الجاهلية! بالرغم من ان عذاب نبي الاسلام صلى الله عليه وآله - في ضوء الحديث النبوي المعروف الذي تناقله الشيعة والسنة - من اهل زمانه قد فاق عذاب الانبياء عليهم السلام جمعياً^(١)، ومع ذلك فان الاذى الذي يصيب امام الزمان (عج) - استناداً للروايات - اكثر من الاذى الذي طال جده صلى الله عليه وآله.

روى فضيل بن يسار - وهو أحد اصحاب الامام الصادق عليه السلام - هذا الحديث عنه عليه السلام:

«ان قائمنا اذا قام استقبل من جهلة الناس اشد مما استقبله رسول

١. «ما أودى نبي مثل ما أوديت» بحار الانوار، محمد باقر المجلسي: ج ٣٩، الباب ٧٣، الرواية ١٥.

الله من جهال الجاهلية. قلت: وكيف ذلك؟ قال: ان رسول الله ﷺ اتى الناس وهم يعبدون الحجارة والصخور والعيdan والخشب المنحوتة، وان قائمنا اذا قام اتى الناس وكلهم يتأول عليه كتاب الله يحتج عليه به...»^(١)

أي انهم يقولون ان قراءتنا للقرآن هي الصحيحة وكلامك باطل! وبهذا تكون الغصص التي يتجرعها امام الزمان (عج) من المتظاهرين بالعلم في زمانه اكثر مما تجرعه رسول الله ﷺ في سبيل هداية ابناء الجاهلية.

سابقة تعدد القراءات في الاسلام

يعود تاريخ تعدد القراءات للنصوص الاسلامية الى صدر الاسلام مع فارق ان هذا الأمر كان يُسمى آنذاك (التفسير بالرأي)، كما ان صاحب كل رأي - قراءة - كان وقتذاك يرى عدم صحة آراء الآخرين، غير ان المفسرين الجدد ابتدعوا لعبة افضل فهم يرون كافة التفسيرات والوان الفهم تسير عرضياً مع بعضها وهي بأجمعها صحيحة، وان لم يكن هنالك وجه جمع بينها بل هي تتناقض فيما بينها تماماً!

١. بحار الانوار، محمدباقر المجلسي، ج ٥٢، الباب ٢٧، الرواية ١٣١. وصرحت رواية اخرى وردت بذات المضمون (بحار الانوار: ج ٥٢، الباب ٢٧، الرواية ١٣٣) بمقاتلة هؤلاء لهؤلاء بالقول: «... وان القائم يخرجون عليه فيتأولون عليه كتاب الله ويقاتلونه عليه». اي ان السر في زيادة الاذى والمشقة التي يتحملها امام الزمان (عج) على ما تجرعه جدّه النبي الاكرم ﷺ هو ان أناساً يدعون اتباع القرآن ينبرون لقتاله بتأويلهم للقرآن.

بناءً على هذا، لغرض القيام ببحث تاريخي والتنقيب عن جذور هذا الموضوع لابد من ان نتطرق لبيان مسأله (التفسير بالرأى)، والحديث يطول في هذا المجال، ولكننا نكتفي بنقل بعض الروايات توخياً للاختصار:

١- قال رسول الله ﷺ: قال الله جلّ جلاله: ما آمن بي من فسر برأيه كلامي. (١)
يتضح من هذه الرواية ان مقتضى الايمان بالله ان يقبل المفسر المعنى الذي يفهمه عرف الحوار من الكلام وما يحظى بتأييد النبي الاكرم ﷺ والائمة الاطهار عليهم السلام وعلماء الاسلام. فاذا لم يقبل من دون دليل معنى يتطابق مع قواعد واصول التفاهم، فهذا في الحقيقة تلاعب بالالفاظ، واذا ما قال ظاهرياً: انني اؤمن بهذه الآية لكنه يقدم معنى آخر لها لا يقره الله ولا رسوله ﷺ ولا الامام المعصوم عليه السلام ولا عالم اسلامي فان هذا المفسر لم يؤمن بالله حقاً بل يكون قد حكم هواه.

ان الايمان بالله يستدعي القبول بالقرآن كما فسرّه النبي ﷺ واهل البيت عليهم السلام والعلماء الصادقون، أمّا وضع معنى جديد بزعم انه فهم وقراءة جديدة، فهو ايمان بهوى النفس ورغبتها وليس ايماناً بالله.

٢- من فسر القرآن برأيه فقد افترى على الله الكذب. (٢)

يكمن السر في تساوي التفسير بالرأى مع افتراء الكذب على الله في

١. عيون اخبار الرضا عليه السلام، الصدوق: ج ٢، ص ١٠٧.

٢. نفس المصدر.

ان المفسر يعلم بانه لا يؤمن بالمعنى الذي يريده الله ويقدم معنى آخر بدلاً عنه، فهو اذن يفترى على الله الكذب بهذا العمل.

٣- من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار.^(١)

يتبين من هذه الرواية ان مآل الذين يتلاعبون بآيات الله وينسبون الى الله ما تشتهي انفسهم لن يكون سوى جهنم.

٤- هنالك اشارات في نهج البلاغة في مضمار التفسير بالرأي، منها ما نقرأه في مقطع من احدى الخطب:

«وآخر قد تسمى عالماً وليس به، فاقبس جهائل من جهال واضاليل من ضلال ونصب للناس اشراكاً من حبائل غرور وقول زور، قد حمل الكتاب على آرائه وعطف الحق على اهوائه... فالصورة صورة انسان والقلب قلب حيوان، لا يعرف باب الهدى فيتبعه ولا باب العمى فيضد عنه وذلك ميت الاحياء.»^(٢)

ان صفة المتظاهر بالعلم الذي يأخذ الجهائل عن أناس جهلاء آخرين وقد يطرحها باسمه، هي انه يفسر القرآن وفقاً لآرائه ورؤاه معتبراً ذلك ما يريده الله. وهو اذ يتعين عليه الفصل بين الحق والباطل، وبدلاً من ان يكشف عن الحق بشكل تام ويجعله شفافاً لئلا يختلط بالباطل، يقوم بحرفه باتجاه اهوائه، أى يبينه بنحو يستطيع معه استغلاله لصالح مآربه، وقد ورد في كلام امير المؤمنين عليه السلام لقبان لمثل هؤلاء المفسرين: احدهما

١. تفسير الصافي، الفيض الكاشاني: ج ١، ص ٣٥.

٢. نهج البلاغة، ترجمة وشرح فيض الاسلام، الخطبة ٨٦.

ان هؤلاء (أناس بصورة حيوان) وبالرغم من ان صورتهم صورة انسان لكن سيرتهم حيوانية، والآخرون انهم (اموات بين الاحياء). والمتظاهرون بالعلم في عصرنا يعجزون ايضاً عن تمييز الحق، والعجيب انهم يعترفون بعجزهم وجهلهم هذا، وهم يعتقدون انهم ليسوا وحدهم العاجزين عن معرفة الحق والحقيقة بل الآخرون ايضاً لا قدرة لهم على اكتساب العلم واليقين، وادعاء العلم واليقين والمعرفة الحقيقية في نظرهم، ادعاء واهٍ وجزاف يطلقه الجهلاء! فانهم يقولون: نحن اذ درسنا في اشهر جامعات اوربا وامريكا ندرك ان لا وجود للعلم من الاساس وان طريق اكتساب العلم الحقيقي والمعرفة اليقينية مسدود ولا ينبغي للانسان ان يطمع به!

وعاقبة هذه الحالة هي الخروج من السيرة الانسانية والدخول في عالم الحيوانية الذي من خصائصه سلب القدرة على الفهم من الانسان. يرى القرآن الكريم في عدة آيات منه ان جزاء بعض الضالين يكون في تجريدهم من قدرة ادراك الحقيقة فيقول: «خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ»^(١) هؤلاء يجزيهم الله على انحرافهم بابتلائهم بحالة يفقدون معها القدرة على معرفة الحقيقة فلن يكون هنالك تأثير لهداية النبي ﷺ فيهم: «سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنْذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ»^(٢).

لقد جاء كلام امير المؤمنين عليه السلام في وقت كان الكثير من اصحاب النبي صلى الله عليه وآله حاضرين ولا زال كلامه صلى الله عليه وآله يرنّ في آذانهم، وكان علي عليه السلام مدينة علم النبي صلى الله عليه وآله بين الناس ايضاً، ومع ذلك فقد كان عليه السلام يضح من فئة المفسرين بالرأي كيف انهم يحرفون كلام الله معنوياً ويصدّون الناس عن معرفة حقائق القرآن. ^(١)

١. رويت موارد أخرى عن ائمة الدين في هذا المجال ورد جانب منها في الجزء ٩٢ من كتاب بحار الانوار من قبيل الرواية المنقولة عن النبي صلى الله عليه وآله في الباب ١٠، الرواية ٢٠، حيث يقول صلى الله عليه وآله: اكثر ما اخاف على امتي من بعدي رجل يناول القرآن يضعه على غير مواضعه. فمراد النبي صلى الله عليه وآله هم المحرفون لآيات القرآن معنوياً الذين يفسرون الآيات بما يشتهون ثم ينسبون ذلك الى الله.

الفصل الثاني

الذرائع

لقد جاء اصحاب تعدد التفسيرات والقراءات للنصوص الدينية - كما يحسبون - بادلة لاثبات صحة رؤيتهم، وقد تعرّفنا على جانب منها اجمالاً، وهنا نتطرق لبيانها ونقدها وبحثها بالتفصيل.

الذريعة الاولى: تميّز الآيات القرآنية بأن لها باطناً

كما قلنا فقد رويت احاديث مختلفة عن ائمة الدين في باب وجود باطن لآيات القرآن من قبيل هذه الرواية عن الامام الباقر عليه السلام: إن للقرآن ظهراً وبطناً وللبطن بطن...^(١)، وصرّحت رواية اخرى بوجود سبعة بطون لآيات القرآن: إن للقرآن ظهراً وبطناً ولبطنه بطن الى سبعة أبطن.^(٢)

وقد استغل بعض انصار تعدد القراءات للنصوص الدينية هذه الروايات ليطرحوا آراءهم الضالة تحت عنوان (باطن النص)، فهم من ناحية يصورون ان كافة القراءات على اختلافها صحيحة تحت هذا العنوان، ومن ناحية يعملون من خلال الترويج لهذه الفكرة على صدّ

١. بحار الانوار، محمد باقر المجلسي: ج ٩٢، الباب ٨، الرواية ٣٧.

٢. تفسير الصافي، الفيض الكاشاني: ج ١، ص ٣١.

الناس عن العمل بظاهر القرآن لاعتقادهم بان الذي ينال باطن القرآن لا تعود لديه حاجة لظاهره.

حري بنا القول في معرض نقد هذا الكلام ان وجود باطن لآيات القرآن أمر لا يُنكر، لكن بعض هذه الروايات أوكلت فهم جميع بطون القرآن للنبي ﷺ واهل البيت عليه السلام: لا يستطيع أحد ان يدعي انه جمع القرآن ظاهره وباطنه غير الاوصياء. (١)

ربما تنكشف للآخرين - طبعاً - بعض المعاني العميقة للآيات من خلال التمعن والتدبر فيها من قبيل الآية ١٥ من سورة فاطر التي تقول: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ». فما يفهمه سواد الناس من ظاهر هذه الآية هو انكم محتاجون لله والله غني عنكم ويستحق الحمد، فما يتداعى الى الازهان من مفردة «فقر» هو حاجة الناس في أمر المعيشة من قبيل المأكل والملبس والسكن وغيرها التي يمهدها الله سبحانه وتعالى على توفير اسبابها وعللها لاستمرار الحياة وتكامل الانسان.

هذه مرتبة من الفهم لهذه الآية ويعبر عنها بمرتبة الظاهر وهي يسيرة الادراك بشكل جيد بالنسبة للناطقين بالضاد، ولكن هنالك معاني اكثر عمقاً لها كلما ازداد الانسان معرفة بتركيبه الكلام والابعاد الادبية فيها وعمل بما وصى به القرآن في مجال التدبر والتفكر في الآيات، فسوف

١. بحار الانوار، محمد باقر المجلسي: ج ٩٢، الباب ٨، الرواية ٢٦.

يدرك أبعاداً أكثر دقة وعمقاً. على هذا الأساس من خلال المزيد من التأمل في هذه الآية سندرك ان حاجتنا الى الله أبعد مدى من المأكل والملبس والسكن والصحة وغيرها، فنحن الفقراء مطلقاً والله هو الغني مطلقاً، وبتعبير آخر نحن «الفقراء بالذات» والله «هو الغني بالذات»، والفقير تعني لغة: مَنْ كسرت فقرات ظهره ولا قدرة له على الوقوف. والانسان الفقير يعنى انه مهما توفرت له كافة الامكانيات المادية فهو ناقص ومرتبطة.

اذا ما نظرنا الى الآية بهذه الرؤية فسوف ندرك ان فقرنا نحن البشر الى الله أوسع مدى من المأكل والملبس وسائر الامكانيات المادية للحياة، فنحن فقراء الى الله في اصل الوجود، فهو الذي خلقنا وهو الذي يوفر لنا مقومات مواصلة الحياة وتكامل الانسان ورقية من خلال توفير الاسباب والعلل الوجودية. اذن نحن فقراء بالذات في اصل الوجود وفي استمرار الوجود وفي تكامل وجودنا الى الله المتعالي والغني بالذات.

من الواضح ان النظرة الثانية للآية اعمق من النظرة الاولى، ومن الممكن تسمية المعنى الثاني الذي هو اعمق من المعنى الاول بـ(باطن الآية)، والاكثر عمقاً من هذا المعنى هو ان البشر ليسوا فقراء ومحتاجين في اصل الوجود فقط بل هم عين الفقر بكل كيانههم، فوجود الانسان «عين الربط» مع الله سبحانه وتعالى. وادراك حقيقة المعنى الثالث خارج بالطبع عن مستوى العقول البسيطة.

على أية حال، سواء ادرك الآخرون بعض المعاني الباطنية للقرآن أو لم يدركوا، فإن وجود البطون لا يعني الاستغناء عن ظاهر الآيات والتخلي عنه، بل يتعين الوصول إلى باطن القرآن من خلال العمل بظاهره. إن الحقائق الباطنية للقرآن ليست يسيرة الإدراك من قبل جميع الناس وإنما هي مرهونة بمراتب الكمال الإنساني الذي يتأتى عبر العمل بظواهر القرآن، مثلما نعجز عن بلوغ أحوال النبي ﷺ وسائر المعصومين عليهم السلام في عبادتهم لله، بل لا قدرة لنا على الطمع بأدراكها. نعم إذا ما سلك امرؤ الطريق الذي أمروا به وعمل بتعاليمهم على وجه الدقة - وهذا عمل ليس بتلك السهولة طبعاً - ربما تُداعب مشامه نسمة من بطون القرآن ومن تلك الكمالات التي نالها اعلام الدين وأولياء الله.

وبغية فهم هذا الأمر حبذا لو توجهنا إلى صلاتنا فنحن نقول في الصلاة: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ»^(١) ولو توجهنا بشكل كامل حينها نسعى أثناء قراءتنا لهذه الآيات للانتباه إلى معناها. هل نحن لا نستعين حقاً بغير الله في حياتنا؟ هل مرّت علينا لحظات على امتداد حياتنا واستحوذت علينا مثل هذه الحالة بحيث نطلب العون من الله وحده ونقطع الأمل بالآخرين؟ فإذا ما حصلنا نحن العاديين من البشر على مثل هذه الحالة للحظات معدودات فذلك في غاية الأهمية. بينما كان النبي ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام طالما يطلقون «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ»

من صميم مهجهم وبصدق تام، من هنا سمّوا بـ«الصادق» و«الصديق»
اي انهم كانوا في غاية الصدق وحقاً ما كانوا يأملون غير الله في اي أمر
ولم يطلبوا عون غيره. ورد في المناجاة الشعبانية التي كان الائمة عليهم السلام
يقرأونها: الهي هب لي كمال الانقطاع اليك.^(١) أي الهي أعني كي انقطع
عن كل شيء وأقبل عليك وحدك، وهذا ليس بالأمر الهين والضميل، بل
هو غاية ما يتمناه أولياء الله، وهو مضمون «إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» ايضاً.

كان هذا نموذجاً مبسطاً نسبياً لفهم الظاهر والباطن، ولو تعمقنا
بالآيات والمعارف التي نفهم ظاهرها المبسط لعثرنا على جواهر نفيسة.
يقول امير المؤمنين عليه السلام: القرآن بحر لا يُدرك قعره.^(٢) ولا تفنى
عجائبه^(٣)، فكلما تقادم الزمان ظهر المزيد من عجائب القرآن.

وينبغي الالتفات الى ان ظاهر القرآن وباطنه يسيران مع بعضهما
طولياً وهما صحيحان في نفس الوقت ولا يتناقض احدهما مع الآخر،
والحاصل هو ان هذه المعاني تختلف فيما بينها من حيث العمق وليست
مراتب القرآن بأجمعها يسيرة الادراك بالنسبة للجميع. وقد جرت
الاشارة لهذا الأمر في الروايات ايضاً.^(٤)

١. مفاتيح الجنان، عباس القمي، اعمال شهر شعبان، المناجاة الشعبانية.

٢. بحار الانوار، محمد باقر المجلسي، ج ٩٢، الباب ١، الرواية ٢١.

٣. نفس المصدر: الرواية ٢٥.

٤. عن ابي جعفر عليه السلام قال: يا جابر ان للقرآن بطناً وللبطن بطنٌ وله ظهر وللظهر
ظهرٌ. يا جابر وليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن...، أي انهم

اذن القرآن كتاب لا يدرك البسطاء من الناس جميع مراتب معانيه وحقيقته، وان لكل معنى باطني فيه بطناً آخر، ومع ذلك لا يمكن التخلي عن ظاهره كما لا يمكن تقديم بطون له بما تشتهي النفس.

توضيح حول التفاسير الباطنية

ربما يظن البعض برؤيتهم التفاسير العرفانية للقرآن امكانية المبادرة لبيان بطون الآيات مع الاعراض عن ظواهرها وتجاهلها، ولكن هذا التوهم ليس صحيحاً، فبالرغم من ان نفراً قليلاً بعدد الاصابع من المفسرين القدامى وحتى يومنا هذا لم يتطرقوا لتفسير ظاهر الآيات بل ركزوا اهتمامهم على بيان ملاحظات عرفانية ذاقوها لكنهم كانوا يؤمنون بظاهر القرآن ويعملون به. ولم يكن هؤلاء المفسرون بصدد تفسير ظاهر الآيات، بل كان حافزهم الاصلي تأليف موضوعات ذوقية وتأويلية، وقد صرح بعضهم بهذا الأمر في مقدمة كتابه.^(١)

نعم، من اعتقد بعدم اعتبار تفسير ظاهر الالفاظ والعبارات القرآنية وان مراد الله هو المعنى الذوقي أو التأويلي فقط فهو منحرف وكلامه مرفوض.

على أية حال، اذا كان مؤلفوا التفاسير العرفانية يعتقدون بظواهر

^١ اعجز من ان يقوموا بتفسير حقيقة وباطن القرآن. بحار الانوار، محمد باقر المجلسي: ج

٩٢، الباب ٨، الرواية ٣٧.

١. من قبيل الملا عبدالرزاق الكاشاني في مقدمة «التأويلات» ونُسبَ هذا الكتاب خطأ في

نسخته المعروفة تحت عنوان (تفسير القرآن الكريم) الى محي الدين بن عربي.

القرآن ايضاً وقد اهتموا الى جانب ذلك بالموضوعات الذوقية - بالنحو الذي لا نمتلك فيه دليلاً على بطلانه - فذلك موضع قبول الى حد ما، لكننا نتبرأ من الذين يتركون ظواهر القرآن ويرونها غير معتبرة، لتناقض هذا العمل مع صريح الآيات والروايات.

إشارة الى الأدلة على وجوب الاهتمام بظاهر القرآن

ان بعض الآيات تؤكد على قراءة^(١) القرآن والاستماع اليه^(٢) والتدبر والتفكر فيه^(٣)، وبعضها يوبّخ المخاطبين بسبب عدم التدبر في القرآن: - «أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا»^(٤).

- «أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً»^(٥).

بالإضافة الى ذلك هنالك مزيد من التأكيد في احاديث النبي ﷺ وسائر المعصومين عليه السلام ايضاً على التمسك بالقرآن والتدبر فيه، من قبيل الحديث المروي عن النبي الاكرم ﷺ: «فاذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن»^(٦).

لو لم يكن لظاهر القرآن حجّة علينا فكيف ينتشلنا من الفتن؟ أو لا

١. فَأَقْرَأُوا مَا تَنسَخُ مِنَ الْقُرْآنِ. المزمّل: ٢٠.

٢. وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ. الاعراف: ٢٠٤.

٣. كِتَابُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَذَّبَ رُوحَ الْبَاطِلِ. ص: ٢٩.

٤. محمد: ٢٤.

٥. النساء: ٨٢.

٦. بحار الانوار، محمد باقر المجلسي: ج ٩٢، الباب ١، الرواية ١٦.

يكون نزول القرآن فعلاً عبثاً في هذه الحالة؟ لقد اكّد القرآن على كون آياته نوراً وموعظة وشفاءً وكلاماً مبيناً، فكيف لشيء هو نور وموعظة وبيان وشفاء ان يكون بعيداً عن متناول فهمنا ويراد منه فقط باطنٌ يدّعيه البعض؟! إن من لوازم كون نزول القرآن الكريم هادفاً هو ان يكون الآيات موضع فهم ويكون فهمه معتبراً، وإلى جانب ذلك هنالك معاني باطنية يفهمها اهلها - المعصومون عليهم السلام - ويجد الآخرون طريقهم اليها كلٌّ حسب قابليّته وبلاستعانة بعلوم اولئك المعصومين عليهم السلام.

ان فكرة اقتصار هداية القرآن على باطنه ورفع اليد عن ظواهر آياته هي فكرة ضالّة تماماً ونحن نتبرأ من اصحاب هذه الفكرة على اختلاف اتجاهاتهم.

والنتيجة هي ان وجود باطن للقرآن الكريم يختلف عن نظرية تعدد القراءات، فالمعاني الباطنية للقرآن في طول بعضها البعض وهي على علاقة بالمعنى الظاهري للآيات، من هنا فلا تناقض ولا منافاة بينها، في حين ان نظرية تعدد القراءات تجيز وجود معاني متناقضة مع بعضها لنصٍّ واحد وتعتبرها صحيحة بأجمعها! ولا يستطيع أيّ عاقل ان يقبل بالجمع بين معاني متضادة ومتناقضة. فهل يمكن القول ان الفحم ابيض واسود معاً؟! ان الحقيقة أمرٌ واحد ليس اكثر وكل ما سواها فهو باطل.

الذريعة الثانية: وجود المتشابهات في القرآن

يرر المروجون لنظرية تعدد القراءات في المجتمع الاسلامي رؤيتهم

متشبهين بوجود المتشابهات في القرآن، فهم يعتقدون مثلما ان الآيات المتشابهة تحتل معاني مختلفة ولها احتمالات متعددة فان بقية الآيات ايضاً يمكن اعتبارها على هذا المنوال في تعدد معانيها وصحة كافة تلك المعاني وان كانت متناقضة فيما بينها.

منشأ بحث المتشابهات

القرآن الكريم هو منشأ البحث في المتشابهات، ففي الآية السابعة من سورة آل عمران قسّم القرآن الآيات الى فئتين محكمة ومتشابهة حيث قال تعالى:

«هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ».

في ضوء هذه الآية تُقسم آيات القرآن الى قسمين: الاول المحكمات وهي التي لا شك في معناها ومفادها، وتمثل مرجعاً لسائر الآيات، والآخر المتشابهات^(١) ذات الاحتمالات المتعددة والمتشابهة وليس من الواضح المراد منها في الوهلة الاولى.

ان اولئك الذين يصفهم القرآن «فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ» يبحثون عن وسيلة للايحاء بصحة افكارهم المنحرفة والخاطئة واضفاء الشرعية عليها،

١. التشابه هو صفة الآيات، وكما يقول الادباء: فهو وصف بحال المتعلق. أي ان الآيات المتشابهة في معانيها هي الآيات التي تتشابه معانيها أو تشبه معانيها فيما بينها.

لذلك فهم ينتقون الآية المتشابهة غير الواضح معناها الحقيقي أمام الجميع ويحملون عليها أفكارهم الباطلة ليخدعوا بها الرأي العام. ان للبحث في المتشابهات واستغلالها تاريخاً قديماً وُلد مع القرآن الكريم وقد قام العلماء وكبار المفسرين بتحقيقات كثيرة في هذا المجال بل وصنفوا كتباً بخصوص المتشابهات منذ القدم، ومن بين هذه الكتب يأتي كتاب «حقائق التأويل في متشابه التنزيل»^(١) من تأليف الشريف الرضي رحمته الله جامع نهج البلاغة. كما ان للمفسرين المعاصرين مثل العلامة الطباطبائي رحمته الله وآخرين بحوثاً بهذا الشأن. وبإمكان الراغبين بالمزيد من المطالعة بهذا الصدد، الرجوع الى التفاسير المعاصرة في ذيل الآية السابعة من سورة آل عمران.

طريقة التعامل مع الآيات المتشابهة

طرح القرآن الكريم طريقين لفهم الآيات المتشابهة: الطريق الاول وهو مجدٍ في فهم جميع آيات القرآن وذلك انه قدّم للناس مفسرين معصومين، فحينما يجعل القرآن النبي صلوات الله عليه وآله والائمة عليهم السلام مفسرين له^(٢).

١. تبقى من هذا الكتاب الجزء الخامس فقط وقد اعيد طبعه مراراً خلال السنوات الماضية، كما صدرت ترجمته الفارسية عن اصدارات الروضة الرضوية المقدسة.

٢. في الآية «وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ» النحل: ٤٤، جعل القرآن الكريم كلام النبي صلوات الله عليه وآله في بيان وتفسير الآيات حجة، والنبي بدوره وبمنص حديث الثقلين وصف القرآن والعتره بانهما متلازمان مع بعضهما، وترك الى جانب القرآن الصامت قرآناً ناطقاً هم الائمة المعصومون عليهم السلام.

فمن الواضح وجوب الرجوع اليهم لفهم هذه الآيات.
 الطريق الثاني لفهم الآيات المتشابهة هو ان نتخذ من الآيات
 المحكمات ذات المعنى الجلي ملاكاً ومعياراً أولاً ثم نفسر المتشابهات
 على أساسها، فلا ينبغي ان يجري تفسير المتشابهات بنحو يتنافى مع
 مفاد الآيات المحكمات، لأن الآيات المحكمات وفي ضوء تصريح
 القرآن «أم الكتاب»^(١) ولا غموض فيها على الاطلاق، فاذا كانت الآية
 المتشابهة تحتل احتمالين أو عدة احتمالات فانه يجب اختيار المعنى
 الذي ينسجم مع المحكمات.

وفي ضوء ذلك بالرغم من ان للآيات القرآنية المتشابهة احتمالات
 متعددة في البداية يتعذر القبول بها أو رفضها، ولكن بعد ارجاعها الى
 المحكمات لن يبقى لها اكثر من تفسير واحد وستكون الاحتمالات
 الاخرى مرجوحة وغير مقبولة. من الواضح ان هذا التعدد في
 الاحتمالات الأولية لا يعني بأي حال صحتها جميعاً، ومن خلال التدبر
 في الآيات المحكمات سيتضح الاحتمال الراجح.

وبهذا فان البحث في الآيات المتشابهة لا علاقة له على الاطلاق
 بنظرية تعدد القراءات، لان كافة الاحتمالات - كما تقدم - ووجوه
 التفسير تعتبر صحيحة ومقبولة في نظرية تعدد القراءات وان لم يكن
 هنالك وجه يجمعها وهي متناقضة فيما بينها.

الذريعة الثالثة: الاختلافات الطائفية وتعدد الفتاوى

من الأدلة الأخرى لمدعى تعدد القراءات، هي قضية الاختلاف في المذاهب الإسلامية وآراء علماء المسلمين، فهناك فرق متعددة بين المسلمين من قبيل الشيعة والسنة ولكلٍّ منهما فروع كثيرة؛ وكذلك الاختلافات الكلامية من قبيل الاختلاف بين الأشاعرة والمعتزلة وغيرهما، والاختلافات الفقهية على غرار ما بين المذاهب الفقهية الأربع لأهل السنة وبين الفقه الشيعي، وهو أمر واضح ولا يمكن إنكاره. فيقول أنصار نظرية تعدد القراءات إن كل هذا دليل على وجود صحة اختلاف القراءات منذ صدر الإسلام وإن الجميع قد قبل ذلك بنحو من الانحاء. حريُّ بنا القول إن هذا الدليل هو أكثر الأدلة فضيحةً وسخفاً ممَّا جرى الاستدلال به لاثبات صحة نظرية تعدد القراءات.

إن نظرية تعدد القراءات ترى صحة كافة القراءات على اختلافها، ولكن هل القضية بهذا الشكل على صعيد الاختلافات المذهبية والفقهية؟ هنا يرى صاحب أيِّ مذهب إن رأيه هو الصحيح فقط وإن الآخرين على خطأ، بل وقد يصل الأمر حدًّا يكفر بعضهم بعضاً ويحكم بارتداده!

وبناءً على هذا فإن الاختلاف في المذاهب والرؤى الكلامية والفقهية ليس لا يعدّ دليلاً على صحة تعدد القراءات فحسب بل على العكس فهو يُبطل تعدد القراءات، لأنه وخلافاً لنظرية تعدد القراءات فإن كل شخص يرى صحة رؤيته وقراءته فقط ويرفض قراءة ورأي الآخرين.

كما ان الاختلاف في الفتاوى أيضاً ليس دليلاً على صحة تعدد القراءات، فلا بد أولاً من الانتباه الى عدم وجود الاختلاف في جميع القضايا الدينية، وانما الاختلاف واقع في المسائل الظنية فقط، فحيثما يكون للمسألة دليل قطعي فلن يكون هنالك مجال لطرح تعدد القراءات. وثانياً ان وجود الفتاوى المتعددة يعني براءة ذمة الناس عملياً عند سؤال الله سبحانه وتعالى فهم معذورون إن عملوا بأيٍّ منها، ولا يعني ان جميع اصحاب الفتاوى قد اصابوا الحقيقة. وبمنطق فني نقول: نحن الشيعة مخطئون ولسنا مصوِّبين، اي اننا لا نقول ان كل ما يفتي به فقهاؤنا مطابق للواقع، بل هنالك امكانية لوجود الخطأ والزلل، بل ربما تتعارض اثنتان من الفتاوى فيما بينهما ولا تتطابقان مع بعضهما ويكون الواقع أمراً ثالثاً، فاختلاف العلماء في الآراء الفقهية في الحقيقة على غرار اختلاف ذوي الاختصاص في الفروع الاخرى. افترضوا ان طبيبين كتبا وصفتين لمرضى واحد، فليس امام المريض من حيلة سوى العمل باحدهما لعلاج مرضه، لكن هذا لا يعني وجود حقيقتين وواقعين.

الذريعة الرابعة: وجود تاريخ لأحكام الاسلام

كان اصحاب تعدد القراءات يزعمون قبل انتصار الثورة^(١) ان لأحكام الاسلام تاريخاً محدداً، فاليوم وبعد مضي ١٤٠٠ سنة لا يمكن العمل

١. من قبيل زمرة المنافقين (مجاهدي الشعب).

باحكام صدر الاسلام، فكانوا يقولون: اننا نؤمن بالاسلام لكننا نعتبر احكامه خاصة بذلك الزمان، وقد ازداد هذا الفكر المنحرف شيوعاً بعد انتصار الثورة الاسلامية حتى تأثر به بعض الخواص.

واليوم يتبادر هذا السؤال بجديّة امام البعض وهو: ما هو دليلنا على ان احكام الاسلام خالدة ودائمة؟ يقول أحد هؤلاء: هل المسلمون اليوم مكلفون بالعمل بنفس ذلك المضمون؟ فمثلاً لقد وردت آية القصاص في القرآن فهل يجب العمل بحكم القصاص في الوقت الراهن أم ان هنالك أمراً آخر؟ والرأي القائل بوجوب العمل بحكم القصاص في هذا العصر يمثل على أية حال فتوى... واذا قال قائل ان تطبيق القصاص كان مقتضى العدالة في عهد الرسول ﷺ وليس ضرورياً تطبيقه الآن، سيكون هذا الكلام بمثابة الفتوى ايضاً، فالذين يقبلون الرأي الثاني انما هم يعيدون النظر في فتاوى الماضين في واقع الامر»^(١).

علينا القول في نقد هذه الفكرة ان الايمان بخلود احكام الاسلام يعدل القبول بأصل الاسلام، وانكار دوام احكام الاسلام انما يعني انكار اصل الاسلام وهو كفر صريح. ولو قدّر لاحكام الاسلام ان تُنسخ كسائر الاديان فما هو الفارق بين الاسلام وتلك الاديان المنسوخة - اليهودية والمسيحية -؟ وعدم نسخ الاسلام انما يعني وجوب تطبيق احكامه، والايمان بالاسلام موازٍ وملازم للقبول بتطبيق احكامه في كل عصر،

١. نقد قرائت رسمي از دين، محمد مجتهد شبستري: ص ٥٢٤ - ٥٢٥، وهو باللغة الفارسية.

وفيما عدا بعض الاحكام التي نُسخَت في عهد النبي الاكرم ﷺ - مثل مسألة القبلة - لا يمكن اقتصار سائر احكام الاسلام على زمن معين اي انها لا تقبل التخصيص الزمني، وهذا من ضروريات الاسلام وان انكاره يعدل انكار اصل الاسلام وسيكون سبباً للارتداد.

بناءً على هذا فان القصاص وسائر احكام الاسلام لا تختص بزمن معين ولا يمكن حصرها بمرحلة صدر الاسلام، ولا معنى بالاساس لاختلاف الفتوى في مثل هذه الاحكام، لان الاجتهاد في الاحكام الضرورية والقطعية في الدين هو بمثابة الاجتهاد في مقابل النص، وهو واضح بطلانه للجميع.

الذريعة الخامسة: رمزية لغة الدين

يعتقد اصحاب تعدد القراءات ان لغة الدين شأنها كاللغة الرمزية والاسطورية، لغة خاصة ليست مهمتها بيان الحقيقة. قلنا آنفاً ان بعض علماء الغرب وبعد حدوث الاكتشافات العلمية لاسيما الاكتشافات الفلكية لكبلر وكبرنيك وغاليلو وغيرهم وجدوا النصوص العلمية متناقضة مع المضامين الواردة في تعاليم الكنيسة والتوراة والانجيل المحرّفة. وعليه فقد اثاروا قضية اختلاف «لغة العلم» مع «لغة الدين» وذلك لجعل الكتاب المقدس منسجماً مع المضامين العلمية.

ان النصوص الدينية تتناقض مع الموضوعات العلمية في حالة اعتبارنا لغة التوراة والانجيل لغة حاكية عن الواقع، لكننا اذا قلنا بان لغة الكتاب المقدس ليست مصوّرة للواقع فانه لا تقع حينئذ مشكلة. من هنا فان هؤلاء العلماء حاولوا حلّ المشكلة بطرحهم لموضوع «لغة الدين» فقالوا: ان للكتاب المقدس لغة اخرى مثل الشعر والاساطير وليست الغاية منها بيان الحقائق، فالكتاب المقدس ليس بصدد الحديث عن العالم الخارجي اطلاقاً بل يريد حث الناس على اعمال البر وابعادهم عن الاعمال السيئة وليقلل من كذبهم وسعيهم وراء الغيبة والظلم، وذلك من خلال حديثه عن امور من قبيل الجنة والنار، والله والوحي والقيامة وما شابهها. فاذا ما قيل: «اذا اقترفت الظلم فان مصيرك هو التعذيب والعذاب الالهي في الآخرة» ليجسدوا اكثر سوء الظلم، لا ان هنالك جنة وناراً في واقع الأمر وان تكون امامنا آخرة! ان تصوّر كون الكتاب المقدس حاكياً عن الواقع هو قراءة ساذجة!

لقد تمادى بعض هؤلاء في هذا المنحدر الى الحد الذي قالوا بقراءة جديدة بشأن اصل وجود الله ايضاً فقالوا - والعياذ بالله - ان وجود الله ليس وجوداً واقعياً! وما جاء في الكتاب المقدس من ان الله خلق الكون أو انه اوحى للانبياء ﷺ وما شابه ذلك ما هو الا لغة خيال وخرافة واسطورة! وقد كتب الحكماء هذه الاساطير ليرغبوا الناس بأعمال البر وليبعدوهم عن اعمال السوء! كما ان الحسن والقبيح في ان يتمتعوا

بالحياة وان لا يتسببوا بمضايقة انفسهم ولا الآخرين! وان فحوى الكتاب المقدس كاسطورة كليلة ودمنة أو الاساطير اليونانية القديمة التي هي مضامين اسطورية دونت لاهداف خاصة!

وقد اثار بعض المثقفين والمنبهرين بالغرب من المسلمين هذه الامور فيما يخص آيات القرآن الكريم ايضاً، وراجت هذه الفكرة في بداية الأمر في البلدان العربية التي كانت بعيدة عن علوم اهل البيت عليه السلام. فآلف الكتاب العرب كتباً بخصوص لغة القرآن ورمزيتها وأنها لا تحكي الواقع.^(١) وجاءوا بما يسند آراءهم من آيات القرآن التي لا تنسجم - حسب رأيهم - مع الانجازات العلمية.

نموذج من التفسير الرمزي للقرآن

قبل ما يناهز الثلاثين عاماً قدّم أحد المستغربين - وفي اطار قراءة جديدة! - تفسيراً اسطورياً لقصة هابيل وقابيل، فكان مما اورده في مقاله: ان هابيل كان في الحقيقة مظهراً لطبقة الكادحين في المجتمع - العمال والفلاحين -، وان سنبله القمح التي انفقها هابيل في سبيل الله اشارة الى انه كان فلاحاً فقيراً، وان الله يحب الفقراء ويناصر العمال، لهذا فقد تقبل قربانه. أما قابيل الذي تقرب الى الله بشاة فهو مظهر الرأسمالية وبما ان الله لم يكن على علاقة حسنة مع رأس المال والرأسمالية فهو لم يتقبل قربانه!

١. من قبيل الكاتب المصري نصر حامد ابوزيد الذي آلف عدة كتب في هذا المجال منها «مفهوم النص» الذي تُرجم الى الفارسية ايضاً.

حريُّ بنا القول بشأن هذا - التفسير الجديد! - أولاً: لم يرد الحديث في القرآن عن سنبلة القمح والشاة.^(١) ثانياً: ما الذي كانت تعنيه الرأسمالية في بداية ظهور الانسان على وجه الارض وعهد هابيل وقابيل؟ وما كان مفهوم العمل والفلاحة؟ هذه مفاهيم راجت في مطلع القرن العشرين نتيجة لانتشار الافكار الشيوعية.

وبقي هنالك أمر كان بحاجة الى تفسير وهو المراد من الغراب الوارد في هذه القصة، وقد فسّر هذا من قبل أحد تلاميذه الذي أوضح السر في ذلك! فقد كتب في مقال له ان الغراب هو عالم الدين؟ لان الغراب اسود ويرمز للذين يروجون للسواد من على المنبر ويقومون بالنعي والمراثي. هؤلاء المزورون الذين بهم يكتمل مثلث الثروة والقوة والتزييف! وللأسف فقد ازدادت مثل هذه التفاسير والآراء الآن، وتُسمع مثل هذه الامور حتى من بعض الذين يتجلببون بجلباب علماء الدين ويُسيئون استخدام زي العلماء.

١. ينقل القرآن هذه القصة كما يلي: «وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِعٍ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ * وَذَلِكَ جَزَاءُ الْفَاسِقِينَ * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ * فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُؤَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ» [المائدة: ٢٧ - ٣١].

تشبيه تعدد القراءات للنصوص الدينية بتعدد الاستنباطات من

النصوص الادبية

يوجد ديوان الشاعر حافظ الشيرازي في غالبية بيوتنا نحن الايرانيين، وقد يتفألون به احياناً، فمن كان له مسافر لا علم له به وقد ضاق صدره عليه يتفأل بديوان حافظ، فاذا ما بدر أمامه بيت من ابيات حافظ الغزلية العرفانية وقرأه فانه يفهمه بما يتناسب مع نيته كأن يقول: لقد فهمتُ ان مسافري سالم وسيعود سريعاً. والآخر ذو المريض اذا ما تفأل وصادفه نفس البيت يقول: فهمتُ ان مريض سيشفى، وثالث يتميز بذهنية اخرى ربما يفهم من نفس البيت معنىً سيئاً، بينما لم يكن حافظ بقصد سلامة وعودة المسافر ولا شفاء وتحسن صحة المريض ولا ذلك المعنى السيئ، فهو في عالمه قد نظم شعراً قاصداً منه امراً آخر، لكن الآخرين وعلى اساس افتراضاتهم السابقة وتوقعاتهم يفهمون شيئاً آخر منه:

كل شخص يظن انه قد اصبح صديقي ورفيقي

ولكنه لم يكلف نفسه ان يبحث عن اسراري من أعماقي
والآن هنالك أناس يقولون ان القرآن هو بهذا الشكل وكلُّ يفهم منه شيئاً
في ضوء عقليته، والسبب في ذلك ان لغة القرآن هي من صنف اللغات
التي لا تحكي عن الواقع اذن بامكان كل أحد ان يكون له فهم خاص
منها، وفهم الجميع صحيح!

ولكن اذا ما قُبل مثل هذا القول واصبح تصورنا للقرآن الكريم بانه كتاب يشبه ديوان حافظ لكل امرئ فهمه الخاص منه فهل سيكون كتاب هداية؟ وهل بذل النبي ﷺ والائمة المعصومون ارواحهم من اجل الترويج لمثل هذا الكتاب؟ ولماذا اذن اطلقوا كل هذه التحذيرات لتجنب التفسير بالرأي ولماذا تأكيداتهم على التفسير الصحيح للقرآن؟ وماذا سيبقى من القرآن اذا فهمناه على قدم المساواة مع التفؤل بديوان حافظ؟ في هذه الحالة ستكون قراءة الشاه صحيحة حينما قال قبل انتصار الثورة الاسلامية وامام المراجع والشعب المسلم انني افهم القرآن افضل من العلماء والمراجع وما اقله أكثر انسجاماً مع روح الاسلام!

تعارض القراءات المتعددة مع الادلة العقلية والنقلية

لقد شاء الله سبحانه وتعالى وبمقتضى صفاته الكمالية ان يهدي عباده، ولهذا الغرض انزل القرآن الكريم ليكون موعظة للناس وشفاء لهم وحجة عليهم، ولو قدر لأي انسان ان ينسب لهذا الكتاب ما بدا له من المعاني فلن يكون كتاب هداية بل سيكون مضلاً للناس ومن شأن ذلك نقض الغرض. ومن ناحية اخرى هنالك العشرات من الروايات الواردة في مجال العناية بتفسير القرآن تفسيراً صحيحاً وذم التفسير بالرأي مما يتناقض مع هذه الفكرة.

بناءً على هذا فالقراءة الصحيحة ليست سوى واحدة وهي قراءة النبي ﷺ واهل البيت عليه السلام، وكل ما دلَّ عليه نص القرآن - أي تكون دلالة القرآن عليه واضحة وقطعية - أو يثبت التصريح به من قبل النبي ﷺ والامام المعصوم عليه السلام، يمكن نسبته لله وللإسلام، ويجب علينا ان نتوقف حيثما يعترضنا الشك في الدلالة.

التفسير التأويلي «هرمنوتيك»^(١) وتعدد القراءات

ان لمفردة هرمنوتيك معنى يشابه التأويل، وهي فرع من الفلسفة أو نظرية المعرفة ذات الفروع المتعددة، وثمة اختلاف جوهري في الرأي بين علماء هذا الفرع من بين ذلك يمكن الإشارة إلى الآراء المتشعبة لبعض منظري التفسير التأويلي. وان البحث والتحقيق حول كافة هذه النظريات لا يستوعبه هذا الكتاب ونحن نشير هنا إلى جانب منها.

يعتقد بعض هؤلاء الفلاسفة ان تعدد القراءات لا ينحصر بالنصوص

١. هرمنوتيك Hermeneutice مأخوذة من كلمة «هرمينيا» اليونانية وتعني التأويل، كما ان هرمينيا اشتقت من «هرمس Hermes» وهو احد الآلهة عند الاغريق واول استخدام لها كان في مجال النصوص الدينية، ثم توسع استخدامها ليشمل تفسير وتأويل سائر النصوص من قبيل النصوص الادبية والتاريخية... الخ وتتضمن العمل بـ«المفهوم». راجع: علم هرمنوتيك، ريتشارد أي بالمر، ترجمه إلى اللغة الفارسية محمد سعيد حنائي: ص ٢٠ - ٢١، وكذلك: درآمدی بر هرمنوتیک، احمد واعظي: ص ٢٣ - ٢٤.

أي المكتوبات والمقروءات بل يشمل حتى كلام الأشخاص، وأوسع من ذلك فهو يتعلق بكل قضية يمكن تصورها بحيث تنعكس في ذهن الانسان بصورة مفاهيم، كل هذه يمكن ان تكون لها معاني متعددة. وسميت هذه النظرية باسم التفسير التأويلي، وقد اكد عليها ونماها الفيلسوف الالماني الوجودي «مارتن هايدجر»^(١) اكثر من غيره.

ونتيجة هذه النظرية هي ان اي تفاهم حقيقي لا يحصل بين اثنين من البشر، فعندما يتحدث شخص أو يطرح فرضية أو نظرية فانه يكون بنفسه أحد الذين يستنبطون شيئاً من كلامه، وبتعبير آخر ان فهم وانتقال واستنباط المعنى من اللفظ أو القضية ليس منوطاً برأي المتكلم به. وانما هو أمر مشترك بين المتكلم والمستمع، ومحور هذا الأمر هو الكلام ذاته وان الالفاظ عاجزة عن نقل ما في أعماق ضمير المتكلم الى المخاطب. عندما نستخدم الفاظاً معينة من اجل التفاهم فان ذلك لا يعني ان المستمع قد فهم مرادنا بشكل دقيق، فعلى افتراض انك شعرت باحساس معين كأن تتعجب من شيء مثلاً، فاذا ما راودك مثل هذا الاحساس فان بإمكانك فقط ان تقول لمخاطبك: انني اتعجب، لكنك لا تستطيع ان تصوّر له تعجبك، أو اذا ما قلت له: انني اعشق شيئاً أو احداً، فهو لا يقدر على ادراك ما يجول في قلبك على نحو الدقة، فهو يستمع للفظ العشق فقط وربما يفهم شيئاً منه استناداً للقرائن، لكنه يختلف عما في أعماقك.

1. Martin Heidegger.

في معرض نقد هذه النظرية نقول: أولاً: بالرغم من عدم امكانية نقل المشاعر الباطنية الى الغير بعينها ولكنها ممكنة التعريف من خلال ذكر القرائن والآثار واللوازم.

ان العشق يضيف رونقاً على الآثار الادبية دائماً في آداب مختلف الامم، فاذا ما قال الياباني انني عاشق أو اذا اظهر الايراني أو الصيني أو العربي عشقه، فان الجميع يفهمون ما هو مراده. ألا يمكن فهم الموضوع في القصص ومنظومات الحب التي تتحدث عن ليلى والمجنون وشيرين وفرهاد وغيرها؟ فاذا كانت الالفاظ عاجزة عن نقل المشاعر الى المخاطب فلماذا كل هذا الشعر والنثر؟ هل هو من اجل أمر لا يفهم أحد شيئاً منه؟

نعم ان الانتقال العيني لعشقي بنفسه الى الغير ليس ممكناً، لكن افهامه ممكن. وبالطبع فالذي لم يجرب أي نموذج للعشق والحب في حياته فانه لا يفهم شيئاً عن قصص حب الآخرين، لكن هذا الشخص لن يكون انساناً، فلو كان في وجدان امرئ قليل من المحبة فهو يفهم ان هذا القليل من المحبة قابل للاشتداد واذا ما اشتد وتضاعف فانه يسمى عشقاً، بناءً على هذا بالامكان نقل المشاعر الذاتية للآخرين.

ثانياً: لو افترضنا عدم قدرة الالفاظ على نقل المشاعر الباطنية للمتكلم الى المخاطب، فهل الأمر كذلك بالنسبة للعلوم والفلسفة والموضوعات المنطقية والرياضية؟ فاذا كان الجواب بالايجاب فلم كل

هذه الكتب مدارس والاساتذة والتلاميذ؟ ألا يفهم هؤلاء عن اي شيء يتحدثون ويكتبون؟ فعلى اي اساس تجري عملية التعليم والتعلم في العالم يا ترى؟

هنالك - بطبيعة الحال - حقائق فيما وراء الطبيعة نتكلم عنها بهذه الالفاظ الدارجة، ومن الطبيعي ان لا تكون لهذه الالفاظ القدرة على بيان تلك الحقائق، من هنا لا يخلو الحديث عنها من الغموض والتشابه، ولعل مرد التشابه في بعض آيات القرآن يعود لهذا السبب. ان لفهم هذه الحقائق طريقاً آخر بحيث يتسنى معرفة بعضها الى حد ما من خلال تهذيب الاخلاق والسير والسلوك الاخلاقي، ولكن ليست جميع آيات القرآن بالشكل الذي يصعب فهمها على الجميع، من هنا بالامكان معرفة ما يقصده الله سبحانه وتعالى الى حد ما بهذه الالفاظ والمفاهيم، اما المعرفة الكاملة - بالمستوى الميسور للانسان - فلها سبيل آخر اشرنا اليه قبل قليل.

التمثيل في موضوعات القرآن

ثمة امور في القرآن الكريم والنصوص الروائية من قبيل الاستعارة والتشبيه والتمثيل، كما في الآية: «وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَضَتْ غَزْلَهُمَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا»^(١) فلعل هذه المرأة لم توجد اطلاقاً في الدنيا وقد جرى بيان

هذا الأمر لغرض التمثيل وحسب. أو ما جاء في موضع آخر: «مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً»^(١).

يقول بعض اصحاب تعدد القراءات، مع وجود هذه الأمثلة في القرآن كيف يتسنى اعتبار سائر آيات القرآن خارجة عن اطار هذا الاسلوب الكلامي وحملها على معانيها الحقيقية؟ فلربما كان المراد من «الله» و«القيامة» و«الجنة» و«جهنم» معاني مجازية ايضاً!

نقول للرد: صحيح ان القرآن يتضمن مثل هذه الموارد وهو بذاته يصرح في بعض الحالات بانّ الموضوع الذي يورده انما هو مثال، لكن هذا لا يعني ان جميع الآيات هي أمثلة، فاذا ما تمثل شخص خلال كلامه أو مقاله ببيت من الشعر أو ساق مثلاً فهل يُحسب كلامه أو مقاله برمته شعراً وامثالاً؟ واذا ما اورد شخص فكاهة في موضع من كلامه فهل سيكون جميع كلامه فكاهياً؟

وهكذا في القرآن ايضاً قد يساق مثال بما تقتضيه عظمة الآيات بفصاحتها وبلاغتها، وهذا يعدّ من الجمال المعنوي للكلام وله تأثيره المميز في المخاطبين، وهذا النمط من الكلام يجعل فهم المطالب العميقة اكثر يسراً وبساطة بالنسبة لعامة الناس. بناءً على هذا ان مثل هذا الكلام المجازي ليس لا يعد مذموماً فحسب بل هو من محاسن القرآن، ولو لم يستعن القرآن بالاستعارة والتشبيه والتمثيل وغيرها من

شؤون البلاغة لما اتصف بما عليه الآن من جمال وفصاحة ومثانة. المهم ان القرآن الى جانب ما يتميز به من جمال وروعة في التعبير لم يخرج عن حدود الحقيقة في المنطق أبداً، كما صرح هو بذلك في عدة موارد:

- تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ^(١)

- وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ^(٢)

- فَمَازَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ^(٣).

١. الجاثية: ٦.

٢. المائدة: ٢٧.

٣. يونس: ٣٢.



الفصل الثالث

بيان للنظرية التي نختارها

مستوى تأثير الافتراضات السابقة في فهم النص

لقد عرفنا ان بعض انصار نظرية تعدد القراءات يدعون مستنديين الى نظرية «التفسير التأويلي»، بان كل انسان يفهم معنى خاصاً من القضية وفقاً لما يتّمتع به من ذهنية، وما سوى ذلك ليس ممكناً.

وبما ان الانسان يمتلك خزيناً ذهنياً وهذه المخزونات تختلف باختلاف الافراد، فحيثما حاول فهم كلام أو نص فان مخزوناته تتدخل في هذا الفهم، وبالنتيجة سيكون لكل كلام الوان من الفهم متعددة بمقدار عدد الفاهمين، وكلها تكون صحيحة ايضاً، وعليه لا يمكن العثور على كلام يفهم الناس جميعاً معنى واحداً له - حتى اذا لم يكن هنالك من غرض سوء لديهم -، ومن غير الممكن افتراض فهم لمعنى واحد.^(١)

فيما يقول آخرون من انصار نظرية تعدد القراءات قاصدين توجيه ضربة لاصل الدين واساسه، أي الوحي الالهي: ان الانسان لا يدرك حقيقة واحدة ثابتة من القرآن والوحي الالهي، وحتى النبي ﷺ بالذات

١. راجع: قبض وبسط تنويرك شريعت، عبدالكريم سروش: ص ٣٠١، ٣٠٢، ٣٤٨.

٤٨٧، وهو باللغة الفارسية.

ونظراً لميزته البشرية فقد قدّم فهمه وادراكه للناس تحت عنوان «الوحي»! ففهم النبي ﷺ شخصي ايضاً ويتناسب مع عقليته وظروفه الزمانية والمكانية الخاصة به وقد قدّمه على هيئة الفاظ وآيات. (١) بناءً على هذا من غير الممكن اعتبار القرآن كلام الله ووحياً الهياً بل هو في الواقع كلام النبي ﷺ.

لكننا نقرأ في القرآن: «وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ». (٢) أو نقرأ: «تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ». (٣) فمثل هذه الآيات صريحة في ان القرآن كلام الله ووحيه وليس انه ﷺ يقول - والعياذ بالله - شيئاً من عنده. يردُّ انصار التفسير التأويلي ان فحوى هذه الآيات تُمثل فهم النبي ﷺ وتجسد احساسه ايضاً!! ومن الطبيعي لن تكون نتيجة مثل هذه النظرية سوى الانغماس في دوامة التشكيك وانكار الواقع وتجاهل العقل والمنطق والتلاعب بالالفاظ، وحرى ان يقال لهؤلاء: في ضوء نظريتكُم يُفترض ان لا نفهم شيئاً من مزاعمكم ولا انتم تفهمون شيئاً من كلامنا كي نتحدث في نفيه واثباته أو نقضه وابطاله!!

سيقول ملفقوا هذه الفكرة في مواجهتهم لأوضح المعاني واجلى المفاهيم: ان هذا شعوركُم وفهمكم، ولا ينم عن أية حقيقة سوى

١. راجع: نصر حامد ابوزيد، مجلة كيان، العدد ٥٤: ص ١٣ - ١٤، وعبدالكريم سرروش، مجلة كيان: العدد ٥٢، ص ٥٨.

٢. النجم: ٣ - ٤.

٣. الحاقة: ٤٣ - ٤٦.

مخزونكم الذهني الشخصي، وعليه فهو بناءً ومعتبر بالنسبة اليكم اما بالنسبة للآخرين فلا قيمة ولا شأن له!

نحن نعتقد ان المفسر بمقدوره ويجب عليه الابتعاد عن الاحكام المسبقة قدر المستطاع، وبطبيعة الحال لا يتيسر للجميع التخلية التامة من المخزون الذهني والاحكام المسبقة، وقد لا يلتفت الانسان الى ان فهمه هذا قائم على افتراض خاص به بشأن الموضوع الفلاني، ورغم ذلك بمقدور المرء ان يبذل جهده باتجاه الاستعانة بالاصول العقلية البديهية وينهج طريق التمعن والتدبر في ضوء الاصول العقلانية للحوار والاساليب الصحيحة للتفسير. وافضل دليل على امكانية حصول ذلك هو الحوار الجاري بيننا وبين انصار نظرية تعدد القراءات، اذ انهم يعترفون ضمناً بانهم يدركون كلامنا ونحن نفهم مدعاهم ايضاً.

اننا قادرون في موارد عديدة على ان نفهم من القرآن أمراً بشكل قاطع ويقيني إما مباشرة أو عبر الاستعانة بالروايات الصحيحة والمعتبرة، فيمكن القول في مثل هذه الموارد: هذا هو رأي القرآن وكفى، وكل نظرية تتنافى معه فهي باطلة في نظر القرآن والاسلام وإن قبلها الناس جميعاً. نعم اذا لم نستنبط أمراً بشكل قطعي بل ظننا به وتصورناه فعلياً ان نقول: هذا ما استظهرناه من القرآن وهذا هو فهمنا وتصورنا وربما يقصد الله معنى آخر.

ربما يقول البعض: اننا لا قدرة لنا على الوصول لأمر ثابت ومسلم به

في دائرة المعرفة الدينية والقرآنية - سواء المعارف العقلية أو النقلية - فكلما نستنبطه من القرآن والمصادر الدينية اذا كان في تصورنا يقينياً فهو في الواقع ليس قطعياً بل هو جزم كاذب، وقد يتغير رأينا في تلك المسألة غداً.

وهذا في الواقع هو ذات النظرية القائلة «ان كافة المعارف ومن بينها المعرفة الدينية، تعيش حالة من التبدل والتغير، ولا وجود للثبات والدوام في اى نوع من أنواع المعرفة».^(١)

اننا نرفض هذا الكلام ونعتقد ان الانسان قادرٌ على الوصول عن طريق البراهين العقلية الى نتائج قطعية وواقعية ليست قابلة للتغيير بحيث لا يمكن لأي تطور في النظام العلمي المساس بها. وان مثل هذا الادراك القطعي متيسرٌ ايضاً في العلوم العقلية وكذلك المسائل المنطقية، وهكذا في استنباط المعاني من الالفاظ فلو عرفنا المنهج الصحيح لذلك وتوفرت لدينا القرائن الكافية فهناك امكانية في حصول القطع والعلم اليقيني.

من هنا فنحن نعتقد بان الوصول للمعارف اليقينية التي لا تقبل التغيير ممكن في الجملة. وبناءً على هذا فاننا نعتقد بان الانسان كلما ابتعد عن الاحكام المسبقة فبامكانه الوصول لمجموعة من الامور اليقينية وادعاء الجزم، وان كان رأي الآخرين خلافاً لذلك.

لو لم يتأثر الماضون بالاحكام المسبقة لما طبقوا «السفاوات

١. للمزيد من الاطلاع راجع: قبض وبسط تشوريك شريعت، عبدالكريم سروش: ص ١٦٥، ٢٤٥، ٤١٦، ٤١٧، وهو باللغة الفارسية.

السُّنْبَع»^(١) التي في القرآن على افلاك بطلميوس وهيئته، ولو انهم تحلّوا بما يكفي من الدقة لاعتبروا وفي ضوء الآية «وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ»^(٢) ان الكواكب سابحة وليست مغروزة في الافلاك، وفهموا ان السماوات التي يقصدها القرآن تختلف عن الافلاك في هيئة بطلميوس.

بناءً على هذا وبغية العثور على رؤية صحيحة لا بد من التحرك على اساس ملاكات معتبرة. والمعيّار في معرفة المعنى الظاهري للقرآن أمران هما:

١- البديهيات العقلية.

٢- اصول المحاورة العقلائية.

والموضوعات القطعية العقلية هي بمثابة القرائن المتصلة بالكلام وتسمى في علم اصول الفقه بـ«القرائن اللُّبِّيَّة»، والمراد من اصول المحاورة هي القواعد التي يراها العقلاء معتبرة في مجال التفاهم ونقل مقاصدهم عن طريق الالفاظ.

وجود العلم اليقيني في كل دائرة علمية

هنالك امور يقينية واجماعية وكذلك امور غير يقينية وموضع اختلاف في كل منظومة من العلم البشري، فتُلاحظ في بعض فروع العلم البشري من قبيل الرياضيات الكثير من المسائل اليقينية، ومن النادر ان يطرأ

^١ جري الحديث في سبع آيات من القرآن عن السماوات السبع منها: البقرة: ٢٩ وفصلت: ١٢.

^٢ يس: ٤٠.

الاختلاف في تلك الطائفة من القواعد الرياضية التي تثبت بالبرهان، ولكن يقل وجود الامور اليقينية في بعض آخر من العلوم وان معظمها ظنية. فقد يطرح عالم ما نظرية يحصل جرائها على الانصار ومن ثم تنتشر شيئاً فشيئاً، ولكن يقوم عالم آخر بعد فترة بتفنيدها من خلال الشواهد والقرائن، وبالنتيجة تُهمل النظرية الاولى، وربما تشتهر نظرية ثالثة بعد مضي فترة من الزمن، فتاريخ العلم مليء بصياغة مثل هذه النظريات ونقدها وتفنيدها.

والآن يتبادر هذا السؤال وهو: هل ان وجود بعض المسائل المختلف عليها في كل علم يؤدي الى التشكيك بكافة مسائله وموضوعاته؟ اذا لم تُحل بعض المسائل الرياضية وكانت موضع اختلاف فهل يصبح ذلك دليلاً على ان سائر مسائله خلافية ولها قراءات متعددة؟ هل بامكان أحد ان يقول بان حاصل ضرب اثنين في اثنين يساوي ستمائة وتسعة وسبعين مدّعياً: ان هذه قراءتي؟ من الطبيعي اذا كانت المسألة ذات برهان يقيني واجمع عليها العلماء استناداً للمنهج الصحيح لذلك العلم فلن تتحمل اية قراءة اخرى. ويجب ان تخضع المسائل الظنية وغير اليقينية في كل علم للدراسة والبحث على اساس المنهج التحقيقي لذلك العلم ايضاً.

المسائل اليقينية وغير اليقينية في الدين

ان الدين يتضمن كلتا الطائفتين من المسائل الآنف الذكر، فهناك امور

مسلم بها و يقينية في الدين سواء على صعيد العقائد أو الاحكام لم يشكك بها مسلم لحد الآن، فالمسلمون جميعاً منذ البداية وحتى الآن يؤمنون بوحداية الله ولم يقل أحد منهم بتعدد الآلهة - ولم يقل مسلم - سواء كان شيعياً أم سنياً - ان صلاة الصبح ثلاث ركعات أو يجب اداء الصلاة باتجاه فلسطين أو امريكا! وجميع المسلمين يعرفون ان صلاة الصبح ركعتان ويجب ان تؤدى باتجاه الكعبة، ولا أحد يقول ان لي قراءة اخرى لصلاة الصبح والقبلة.

هذه مسائل ذات دليل يقيني لا يقبل الشك فهي متواترة من حيث السند وقطعية من حيث الدلالة ولا مجال للشك فيها، فوجود مدينة اسمها مكة يقين بالنسبة اليها جميعاً حتى اذا لم نكن قد شاهدناها. اذا ان خبر وجود هذه المدينة متواتر ولا مجال للريبة فيه، ولا يستطيع احد القول ان قراءتي هي ان مكة ليس لها وجود خارجي وان الذين يخبرون عن وجودها متوهمون، أو ان يقول ان المراد من «وجود الكعبة في مكة» حسب قراءتي هو وجود البيت الابيض في واشنطن!

بناءً على هذا فالموضوع الذي يثبت بالدلة القطعية بمعنى انه يتم الظفر به على اساس معرفة بالمنهج المستخدم فيه - مثل التركيز على السند المتواتر والدلالة الواضحة أو القرينة القطعية على صعيد العلوم النقلية - مقبول لدى الجميع ولن يتحمل القراءات المتعددة، ومن لا يقبل بأمور من هذا النمط إما ان يكون جاهلاً بمنهج التحقيق في ذلك العلم وآدابه أو انه يتكلم انطلاقاً من اهوائه ورغباته.

العلة في كون بعض احكام الدين غير يقينية

كما اسلفنا فان بعض الاحكام والعلوم الدينية ظنية ولا سبيل أمامنا لبلوغ اليقين بشأنها. والسّر في هذه القضية هو ان مصدر الكثير من الاحكام الفرعية هو احاديث النبي ﷺ والائمة المعصومين عليهم السلام وهي مروية لنا عن طريق رواة متعددين، واستناداً للعلل التي سنذكرها يعد صدور البعض من هذه الاحاديث عن المعصومين ليس قطعياً، أو ان دلالة النص فيها ظنية.

أ - ضعف السند

ان الروايات التي يُستند عليها في الاحكام والمعارف الاسلامية إما ان تكون متواترة^(١)، أو ان تتوفر قرائن على صدورها عن المعصوم، أو ان يكون الرجال في سلسلة السند معروفين وموضع ثقة واطمئنان، واذا ما افتقدت رواية كلّ هذه الميزات الثلاث فهي ليست مما يمكن الاستناد اليه. ان عدد الروايات المتواترة قليل قياساً لمجموع الروايات، ومعظمها غير متواتر - وهو الخبر الواحد - من هنا يلزم ان يكون رواة الحديث الذي يُستند اليه معروفين وموضع ثقة. لكن بعض هذه الروايات مشكوك فيها من هذه الناحية أي انها تفتقد السند القطعي أو ان بعض رواتها مجهولون أو نشك في وثاقتهم وصدقهم.

١. الرواية المتواترة تطلق على الرواية التي يبلغ عدد الذين يروونها لنا في كل طبقة حداً بحيث تنتفي بشكل طبيعي امكانية تواطؤهم على الكذب.

ب - ضياع القرائن على الروايات

في كثير من الموارد كانت هنالك قرائن لدى صدور الحديث عن المعصوم وانتقاله من المتكلم الى المستمع بحيث يكون من شأن تلك القرائن ان يفهم المستمع جيداً ما يقصده المتكلم، ومع مرور الزمان زالت هذه القرائن ولا سبيل لنا اليها اليوم، ولهذا لا يتيسر الفهم القطعي لمقصود النبي ﷺ أو الامام عليه السلام من هذه الاحاديث.

ج - انقراض الكثير من الاحاديث

كان البعض من الرواة المعاصرين للحكومات الظالمة يدفنون كتبهم الروائية تحت التراب للحفاظ على ارواحهم، ولدى الرجوع اليها بعد سنوات طوال يكون قد باد قسمٌ منها أو جميعها، كما ان قسماً من النصوص الروائية الاولى كانت قد كتبت بالخط الكوفي الرائج في القرن الاسلامي الاول، وهذا النوع من الخط لا نقاط ولا اعراب فيه، لذلك فقد توافقت قراءة هذه النصوص واعادة كتابتها خلال القرون اللاحقة بصعوبات واخطاء.^(١)

بالاضافة الى ذلك ان بعض احاديث اهل البيت عليهم السلام ولاسباب ما رويت على اساس التقية أي حينما كان يحتمل تعرّض ارواح الرواة والعاملين بتلك الروايات الى الخطر كانت تروى عن الامام المعصوم عليه السلام

١. من الصعوبة في هذا الخط معرفة حروف من قبيل: الراء والزاء والصاد والضاد والطاء والظاء والباء والتاء والثاء، وتمييز الحروف المشددة فيها.

فتوى تتفق مع العامة والرؤية السائدة في الدولة الاسلامية، والآن فان تمييز موارد التقية عن غيرها ليس بالأمر الهين، ولا بد من تجرع المشقة والعناء لسنوات كي تتوفر القدرة على تمييز روايات التقية عن غيرها من خلال التمرس والاستعانة بالقرائن والادلة.

على أية حال ربما لا يصل المجتهد الى المستندات القطعية واليقينية فيعلن رأيه بصيغة «الاقوى» أو «الاحوط» لوجود شكوك وتردد في ادلة هذا الرأي وتعذر بلوغ اليقين بسرعة. في مثل هذه الموارد يسعى الفقيه للعثور على الفتوى الاقرب للواقع، لكنه لا يطمئن في خاتمة المطاف فيقول: الاقوى كذا، أو لا يُترك الاحتياط، أو ان في هذه المسألة تأملاً.

بناءً على هذا ثمة مجال للاختلاف بالفتوى في مثل هذه المسائل، أما في المسائل ذات الادلة اليقينية فلا يشاهد اختلاف في الفتوى، فلا وجود للاختلاف في اي رسالة عملية بأصل وعدد ركعات الصلاة، ولا اختلاف في الاحكام الجزائية مثل حد السرقة والزنا وشرب الخمر، لان لهذه المسائل ادلة قطعية أو نصاً قرآنياً، أو انها ثبتت بالاجماع والروايات التي تعززها القرائن القطعية وضرورة الدين.

اذن لا يمكن تعميم الاختلاف وتعدد الآراء على جميع المسائل لمجرد ان بعض المطالب ظنية ووجود اختلاف في الفتوى بشأنها، بيد ان المدعين للقراءات الجديدة يقولون: لا فرق بين النص وغير النص وبين الرواية القطعية والظنية، وقراءتنا هي ان هذه الاحكام تخص عصر صدر

الاسلام ولا ينبغي العمل بها الآن! وفي الحقيقة ان هؤلاء وبدلاً من ان يقولوا اننا لا نؤمن بالاسلام، يقولون ان احكام الاسلام لا تنفع في هذا الزمان وهي تخص عصر صدر الاسلام!

عدم شمولية الفتاوى الخلافية

من المتيقن ان اختلاف الفتاوى في الاحكام الدينية ينحصر بالمسائل الظنية والمشكوكة من قبيل الاختلاف في الرأي حول ما اذا كان علينا ان نقرأ التسبيحات الاربع في الركعتين الثالثة والرابعة ثلاث مرات أو مرة واحدة، والاختلاف حول طهارة أو نجاسة اهل الكتاب (اليهود والمسيح والزرادشت) وموارد اخرى ذكرت في الرسائل العملية، وعليه فان رأي الذين يعتبرون كافة القضايا والعلوم الدينية خاضعة لتعدد القراءات واتخذوا من الاختلاف في الفتاوى الفقهية دليلاً على ذلك، مرفوض تماماً، فكما تقدم ان الاختلاف في الفتوى ينحصر في اطار المسائل الظنية، ولن تكون المسائل الضرورية واليقينية للدين مسرحاً للتنظير والاختلاف.

اقتصار الفتوى والتنظير على المتخصصين

في الموارد التي لا وجود لدليل قطعي وجلي على المسائل الدينية، ينبغي ان تبذل المساعي لفهمها على اساس الادلة الظنية المتوفرة، ولكن

هل بمقدور الجميع سلوك هذا الوادي واصدار الفتوى بوصفها قراءتهم للدين؟ أم ان البحث في ادلة الاحكام والمسائل الدينية شأنه كسائر منظومات العلوم والمعارف يحتاج الى علم ومنهج خاص؟ وبسبب اختلاف فتاوى المراجع وعلماء الدين هل يحق لغيرهم ممن ليسوا مجتهدين ولا قدرة لهم على البحث في ادلة الاحكام، ولوج ميدان الاستنباط والاجتهاد والفتوى؟ من الواضح ان لذوي الرأي والاختصاص فقط في هذه الدائرة العلمية - كما في الموارد الاخرى - الحق في الادلاء برأيهم، ولن يكون اي اعتبار لرأي غير المتخصصين. فاذا ما اختلف طبيبان أو اكثر في تشخيص مرض ما وطريقة علاجه، فهل بإمكان الآخرين ممن ليسوا اطباء أن يكتبوا وصفة له؟

على من يدلي بدلوه في مجال ما أن يكون عارفاً بمنهجية ذلك العلم محيطاً بقضاياها؛ أو يُسمح لكل من هبَّ ودبَّ ان يمارس الطبابة؟ من الواضح ان يكون قد درس في فرع الطب وحاصلاً على شهادة من الجامعة التي درس فيها، وذلك ليُعرف المزورون وتُصان ارواح الناس. والدين بدوره بحاجة الى الخبير وذي الاختصاص، والمتخصص بمعرفة احكام الاسلام يسمى «مجتهداً» مثلما يتخصص «الطبيب» في تشخيص الامراض وطريقة علاج الامراض بأدويتها الخاصة بها.

ومثلما يرجع العقلاء الى المتخصص والخبير في المسائل التي تحتاج الى رأي المتخصص، ففي الدين ايضاً يجب مراجعة عالم الدين، وان

المجتهد العالم بالدين هو مَنْ تمرَّس سنوات متمادية على منهج التحقيق والبحث في هذا العلم واكتسب قابلية عالية لاستنباط وفهم احكام الدين ومعارفه. وبهذا فهل من المعقول الرجوع في المسائل الدينية الى من يجهل الف باء التحقيق في هذا العلم؟ ونظراً لأن القرآن «بَيَانٌ لِلنَّاسِ»^(١) هل يمكن الرجوع الى من لا قدرة له حتى على تقديم ترجمة صحيحة لآية أو حديث؟ ليس ثمة عاقل يسمح لغير المتخصص بان يبدي رأيه في المسائل والموضوعات التي تحتاج الى رأي الخبير والمتخصص وهي موضع اختلاف بين ذوي الاختصاص.

اذن ما قيل من: «ان اختلاف الآراء بين الفقهاء في القضايا الفقهية هو ذاته الاختلاف في القراءات بما يعني امكانية ابداء الرأي في كافة الامور الدينية بما يتنافى مع الآراء المطروحة لحد الآن» انما هو كلام لا اساس له وبعيد عن الصحة تماماً. ان اختلاف آراء الفقهاء في القضايا الظنية فقط لا اليقينية والضروريات، فضلاً عن ان رأي غير المتخصص في هذا المجال فاقد للاعتبار.

انكار احدي ضرورات الدين والارتداد

ان المنكر لضروريّ من الدين كالمنكر لاصل الدين. في مطلع انتصار الثورة اصدرت مجموعة من الوطنيين بياناً اعتراضاً على لائحة

القصاص ذكروا فيه ان هذه اللائحة تفوح بالعنف وهي غير انسانية. وهكذا فقد انبرى هؤلاء لمعارضة لائحة قد نُظِّمت على اساس نصوص القرآن والحديث، فوقف الامام الخميني رحمته الله بوجههم مباشرة وقال «لقد دعوا الشعب الايراني للوقوف بوجه لائحة القصاص، وفي بيان آخر كان تعبيرهم ان هذا الموقف غير انساني وهم يدعون الشعب المسلم للتظاهر ضد لائحة القصاص، أي ليتظاهروا ضد نص القرآن الكريم... المهم هو ان هذا القرآن من عند الله ومن الضروري القبول بكل ما في القرآن. ولقد جرى التصريح بقضية القصاص في مواضع متعددة من القرآن ولائحة القصاص من صلب مضامين القرآن... ان الجبهة الوطنية محكومة بالارتداد منذ اليوم»^(١).

وللأسف فقد اخذت ذات المواضيع تطبع وتصدر خلال السنوات الاخيرة، بل ادهى منها في الصحف والمجلات والكتب التي تطبع بدعم من وزارة الارشاد وباموال بيت مال المسلمين وثمانها دماء الشهداء، ولا أحد ينبس ببنت شفة! والسبب في هذا السكوت هو انهم مهدوا لذلك من قبل حيث اشاعوا ثقافة التسامح والتساهل كي لا يتفوه أحد اذا ما ادلوا بكلام ينم عن الكفر، واذا ما ارتفعت صرخة من هنا او هناك اتهموها بـ «الدعوة للعنف».

على أية حال ان مسلّمات وضروريات الاسلام لا تقبل تعدد

١. صحيفة النور، روح الله الموسوي الخميني (مجموعة كلمات الامام الخميني رحمته الله)؛ ج ٨، ص ٤٨٠ و ٤٨٩.

القراءات، والحكم في هذه الموارد هو ما صدر عن النبي ﷺ والائمة عليهما السلام وما يدلي به العلماء من الشيعة والسنة. ومن مصاديق هذه الاحكام، الحكم الذي اصدره الامام الخميني رحمه الله بحق سلمان رشدي. ^(١) هذا الحكم الذي أيده علماء السنة ايضاً وصرحوا بان حكم الاسلام هو ان من يوجه الالهانة للنبي ﷺ فهو مرتد ويجب ان يُعدم. ولا يسع القول في مثل هذه الموارد: ان قراءتي شيء آخر، وبما ان هنالك اختلافاً في بعض الاحكام الفقهية من قبيل قراءة التسيبحات الاربع مرة واحدة أو ثلاث مرات في الصلاة، فان القراءات تختلف في الضروريات ايضاً.

ان مثل هذا الكلام مرفوض لان الاحكام القطعية - كما قلنا - تختلف عن الاحكام الظنية والمشكوكة، اولاً، وان ذوي الاختصاص وحدهم هم الذين يفتون في الاحكام الظنية بمراعاة المنهجية الفقهية وبالاستعانة بقواعد اصول الفقه ثانياً.

١. اصدر الامام الخميني بياناً بهذا الشأن فيما يلي نصه:

بسمه تعالى

إنا لله وإنا اليه راجعون

اعلنُ للمسلمين الفيارى في جميع انحاء العالم ان مؤلف كتاب الآيات الشيطانية الذي جرى تدوينه وطبعه ونشره لمناهضة الاسلام والنبي والقرآن، وكذلك بالنسبة لناشريه المطلعين على فحواه، محكومون بالاعدام، وانني اناشد المسلمين الفيارى ان يهتوا لاعدامهم اينما ثقفوهم. لكيلا يجرؤ أحد غيرهم على اهانة مقدسات المسلمين. ومن يقتل في سبيل ذلك فهو شهيد ان شاء الله. ومن تصل يده الى مؤلف هذا الكتاب ولكن لا قدرة له على قتله فليبلغ به الناس كي ينال جزاء افعاله. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. روح الله الموسوي الخميني.

نفس المصدر: ج ٢١، ص ٨٦.

حدود القبول بالقراءات المتعددة

أ - قراءة الالفاظ

انما تقبل القراءات المتعددة لالفاظ الآيات عندما تكون مروية عن مشاهير القراء بالتواتر، فلدينا من بين آيات القرآن، آيات تُقرأ بشكلين أو أكثر.^(١) وقد تقبل ذوو الاختصاص هذا الاختلاف بالقراءات الى حد ما. وخارج هذه الحدود ليس بمقدور القراء المعاصرين ابتداع قراءة جديدة لالفاظ الآيات من عند انفسهم.

ب - تعدد معاني المفردات

ان لبعض الالفاظ معنيين وربما يكون المقصود من كلا المعنيين صحيحاً، وقد وردت في الكتب قصص ظريفة عن الأعلام في تأييد هذا الأمر، وتناوله العلماء في اصول الفقه في باب «امكانية ارادة اكثر من معنى للفظ واحد». وعلى العموم يمكن القبول بان يكون للفظ واحد معنيان مع المحافظة على صيغته الخاصة به (من خلال قراءة واحدة من الناحية اللفظية)، وان يكون كلاهما صحيحاً، ومرادنا معنيان معروفان على اساس المصادر المعتبرة، اي أن يكون علماء اللغة قد ذكروا هذين المعنيين وليس ذلك الذي يبتكر معنى للفظ من منطلق ذوقه.

١. يجب ان تُنسب قراءة الفاظ الآيات الى النبي ﷺ واهل بيته عليه السلام، وان القراء على اختلافهم يعتبرون قراءاتهم منسوبة - عن طريق اساتذتهم - الى النبي ﷺ والآ فان القارئ مهما كان مشهوراً لن تقبل قراءته الشخصية.

ان ابداء الرأي في القضايا الادبية - ذات الصلة نوعاً ما باللفظ والمعنى - له ضابطته ومنهجيته وعلى هذا الاساس يجب الحكم، والّا فلا اعتبار في اي مذهب علمي وعقلاني للقول الفاقد للضابطة والمبتدع تلقائياً. اذن وجود معنيين للفظ واحد ممكن بل هو واقع ايضاً وهو معتبر شريطة ان يكون ذا ضابطة وعلى اساس قواعد المحاورة العقلانية وان لا يكون هنالك تعارض بين المعنيين.

ج - خضوع بعض الاحكام الفقهية لتعدد القراءات

كما تقدم ربما تختلف القراءات في بعض الاحكام الفقهية بل وقد يكون بين فتويين فارق بمقدار ١٨٠ درجة، فبعض الفقهاء يحرّمون شيئاً فيما يعتبره فقهاء آخرون واجباً عينياً.

على أية حال، ثمة مسائل يقف فيها فقيهان على طرفي نقيض لدى الافتاء بشأنها من قبيل (حرمة ووجوب صلاة الجمعة في عصر الغيبة)، لكنها ليست بالأمر الجديد وليست حصيلة لمذهب «التفسير التأويلي»، فاسلافنا واجدادنا كانوا على معرفة بهذه القضية منذ ألف سنة مضت، وليس ثمة قلق أو هاجس تثيره هذه الاختلافات، بيد ان السؤال هو هل ان كافة المسائل الفقهية تحتل مثل هذا الاختلاف؟

نفي خضوع جميع الاحكام لتعدد القراءات

لو اقررنا بامكانية تحمل الاحكام الفقهية لفتاوى عديدة، فذلك لا يعني ان

كافة الاحكام الفقهية على هذه الشاكلة. بناءً على هذا لا بد من تحري ميزة الاحكام التي تحتمل تعدد القراءات وتلك التي لا تحتمل تعدد القراءات، وكذلك لا بد من معرفة ان بيان الفتوى ليس من شأن اي كان ولا يقبل من اي كان، فللمفتين شروطهم وخصائصهم التي لا بد من الاهتمام بها.

ان المجتهدين وذوي الاختصاص وحدهم المؤهلون للدلاء برأيهم في القضايا التي تحتمل القراءات المتعددة، ولا يحق للذين يجهلون المباني الفقهية ومنهج التحقيق فيها أو يأبون اتباع الاسلوب الصحيح في ذلك، ابداء وجهة نظرهم. اذن القبول بتعدد القراءات في الاحكام الفقهية ليس معناه احتمال كافة الاحكام للقراءات المتعددة، والاختلاف انما يطرأ في الموارد التي تكون فيها ادلة الاحكام ظنية فقط. ان لدينا في الفقه آلاف الاحكام اليقينية والقطعية التي لا تحتمل التشكيك، وتتفق المذاهب الاسلامية من الشيعة والسنة في الكثير منها ولا مجال فيها للدعاء بقراءة جديدة، فليس لأحد - مثلاً - القول: ان قراءتي للصلاة هي ان تؤدى باللغة الفارسية أو ان تؤدوا الرياضة بدلاً من صلاة الصبح، أو ان تمارسوا التمارين الرياضية صباحاً لنصف ساعة! أو ان يقول قائل - دفاعاً عن الشعب الفلسطيني واحياء اسم البيت المقدس واهميته - فان المصلحة تقتضي في هذا الوقت ان نصلي باتجاه البيت المقدس كما كان في صدر الاسلام! فهل من أحد سيقبل مثل هذه الفتوى؟ أو ما جاء في القرآن من ان عقوبة السارق ان تقطعوا يده: «وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا

أَيِدِيَهُمَا»^(١)، فلربما هنالك من يُشكل على هذا الحكم بان نتيجة هذا العمل تعطيل فرد وزيادة عدد المعاقين والعاطلين عن العمل في المجتمع، فالعقل يحكم بان نحافظ على القوى العاملة في المجتمع بما تمثله من ثروة وطنية. من هنا وبدلاً من قطع يده يفترض ان نحتضنه لفترة من الزمن ونخضعه للعلاج من خلال الاستعانة بالمساعد الاجتماعي! أي ان المصلحة في تعطيل هذا الحكم الالهي، لان مثل هذه الامور تعود الى العصور المنصرمة وقد استُنفد تاريخها!

هل ان مثل هذا الكلام يستحق الاستماع حقاً ازاء صريح الآية القرآنية وحكم الله؟! في ضوء ما قلناه ان تعدد القراءات في الفقه موضع قبول بصيغة الموجبة الجزئية وهو لا يشمل كافة الاحكام الفقهية، بل يقتصر على الاحكام التي تفتقد المستند القطعي.

ان في الاسلام احكاماً يقينية واجماعية جمّة بل هي من ضروريات الدين، وان انكار ايٍّ من هذه الاحكام يعدل انكار كل الاسلام، فالايمان الحقيقي هو الايمان المطلق بجميع مضمون الاسلام دون قيد أو شرط، واذا ما قال أناس اننا نؤمن ببعض الدين ونكفر ببعضه الآخر، فانهم سيكونون هم الكفار حقاً: «إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا» أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا»^(٢).

بناءً على هذا فإن الاسلام لا يقبل بتفكيك الاحكام والايمان، فالمؤمن الحقيقي هو من يؤمن بجميع الاحكام الثابتة في الاسلام، لاسيما ان الايمان واجب بالاحكام الضرورية واليقينية المتفق عليها بين المسلمين وهي ذات قراءة واحدة، ولا يمكن تقديم قراءة جديدة بشأنها بذريعة وجود اختلاف في بعض الاحكام الفقهية، فهذه من المغالطات التي يتسنى لكل تلميذ جديد في العلم ان يكشف سرّها، اذ من الواضح عدم امكانية تقديم قاعدة كلية في ضوء بعض الموارد الجزئية، والقول بما ان بعض الاحكام خلافية فيمكن اذن اعتبارها جميعاً تحتل تعدد القراءات، انها مغالطة سافرة ومحصلة خاطئة. ان الاحكام القطعية والضرورية في الاسلام لا تحتل تعدد القراءات ولا مجال للدلاء برأي معاكس فيها.

عدم تحمل العقائد الاساسية لتعدد القراءات

وفضلاً عن الاحكام العملية وفروع الدين، فإن الايمان بالله الواحد ونبوة النبي ﷺ وسائر العقائد الاساسية في فصل المعتقدات واصول الدين لا تقبل تعدد القراءات ايضاً.

فمن لا يقبل بهذه المعتقدات فليس بمسلم، فلا يمكن القول ان في الاسلام قراءة تقول ان الله واحد، وقراءة اخرى تقول ان الله الذي ينادي به الاسلام هو الف إله! ان التوحيد اصل اساسي في الاسلام، وهو اصل لا يحتمل قضية تعدد القراءات، وكذا نبوة النبي الاكرم ﷺ فهي من ضروريات الاسلام ومن لا يؤمن بها فلن يكون مسلماً، فهل لأحد القول

ان شخصاً باسم محمد بن عبدالله ﷺ لم يكن نبياً، أو ان نبي الاسلام ﷺ لم يظهر بعد؟ وهو يسمي فكرته هذه قراءة جديدة للاسلام! ان مثل هذا القول دليل على الخروج عن الاسلام، لان هذه القضايا قد ثبتت في الاسلام بشكل قطعي ولا مجال لابداء وجهات نظر متعددة بشأنها.

وكما سبق القول منا هنالك قراءات متعددة بشأن بعض العقائد الفرعية، وبتعبير فني اننا نقبل تعدد القراءات في بعض العقائد كما في بعض الاحكام بصورة الموجبة الجزئية، وقد اوضحنا نموذجاً للاختلاف في العقائد فيما سبق حول كيفية سؤال الليلة الاولى في القبر.

شروط تعدد القراءات في النصوص

يمكن ان تكون لنص واحد اكثر من قراءة حينما تتوفر فيه الشروط التالية:

١- عدم وجود دليل قطعي: لقد اوضحنا سلفاً ان بعض النصوص وجزء تقادم الزمان واستنساخها وتغيير خطها وغير ذلك تعرضت للتشويه، أو زالت القرائن المتوفرة في زمن صدور النص. وبناءً على هذا فهي الآن ضعيفة ومشكوك فيها إما من ناحية السند وانتسابها لأئمة الدين، أو ان دلالتها ظنية - غير يقينية - أو تحتمل فيها التقية في حالة صحة سندها وقوة دلالتها، وبالتالي لا يتسنى الحكم بقطعية مفادها.

٢- المنهجية: انما يتسنى القبول بالقراءات المتعددة عندما تكون كل منها قائمة على اساس منهج عقلاني، فلا يسع فرض رؤية على النص

دون ضابطة وبما تمليه الاهواء، وتسميتها قراءة جديدة.
 ٣- القبول في مقام الاثبات: فلو ظهرت عدة قراءات على اساس
 اصول المحاورة العقلانية والقواعد اللغوية في النص، فليس معنى ذلك
 ان هذه المعاني باجمعتها تحظى بالقبول في مقام الثبوت والواقع، فيمكن
 القول - في الواقع - بتعدد المعاني عندما تكون بصورة الظاهر والباطن أو
 التفسير والتأويل فقط وان لا يُلحظ تعارض فيما بينها.

نماذج من القراءات الباطلة

قبل انتصار الثورة الاسلامية في ايران ادعى أناس ممن كانوا يحملون
 افكاراً «ترقيعية» ان الانسان لا يفهم معنى الآيات ما لم يقتحم ساحة
 الكفاح، وما يقوله العلماء في المدارس ليس صحيحاً، وبهذا الشعار كانوا
 يفسرون الآيات كما يشتهون.

وفي غضون تلك السنوات صدر كتاب تحت عنوان «التوحيد»^(١)
 جاء بقراءة جديدة حول «لا اله الا الله» فقد زعم مؤلفه ان المسلمين
 والى الآن يتخيلون ان «الله» موجود عيني وواقعي وتجب عبادته
 وامثال أوامره، في حين ان معنى «الله» هو «المثال الأخلاقي».

لم يكن لدى بعض القراء فهم صحيح للمثال الأخلاقي فكانوا
 يتصورون انه تفسير صحيح لـ «الله»، فهم حتى ذلك الحين كانوا قد

١. كان مؤلف هذا الكتاب حبيب الله آشوري وقد أعدم بعد انتصار الثورة بجريمة الارتداد.

سمعوا ان الله ذات واجبة الوجود تتمتع بجميع صفات الكمال، فكانوا يظنون ان مقصود الكاتب هو تلك الصفات الكمالية. ولم يكن هذا الظن بلا أساس لان «المثال الاخلاقي» يشبه في معناه «الصفات الكمالية» وبما ان الكاتب كان يتلبس بزي علماء الدين فقد كانوا يقولون ان مراده من المثال الاخلاقي هو امتلاك الله للصفات الكمالية جميعها.

ولكن في ضوء القرائن الاخرى التي جاءت في ذلك الكتاب فقد كان مراد الكاتب هو انه لا وجود لله مطلقاً، وهو يعتقد ان على الانسان ان يتصور مثلاً اخلاقياً ينطوي على كافة المحاسن في ذهنه ويتحرك باتجاهه، ولكن ليس هناك موجود حقيقي في الخارج اسمه «الله».

ان المثال الاخلاقي يعني الفكرة التي ينطوي عليها ذهننا، وبذلك فهي تنسجم مع المادية الفلسفية بالصورة التي كان هذا الكتاب قد تحدث بها عن هذا الانسجام، والمادية الفلسفية تعني انه لا وجود لشيء سوى المادة ومن هنا لا حقيقة لله والملائكة والوحي وعالم الغيب. فكان المؤلف معتقداً بان الاسلام لا يتنافى مع المادية الفلسفية، أي اذا قال قائل لا حقيقة لله فذلك ينسجم مع الاسلام! بما يعارضه الاسلام هي المادية الاخلاقية أي ان يسعى الانسان وراء المال والثروة، وعليه فان الاسلام يناهض الرأسمالية! كانت هذه قراءة شخص شيوعي كان يحاول ان يلائم بين المفاهيم الدينية والافكار الماركسية.

وهكذا زمرة الفرقان الذين ألفوا عدة اجزاء من تفسير القرآن حيث

كانوا يفسرون آيات القرآن بهذا النحو، حتى ان احدى الشخصيات المعروفة وقد تسلّم مناصب بعد انتصار الثورة كان وقتذاك في طهران يفسر القرآن في ضوء هذه الافكار المادية والماركسية! ومن بين ذلك انه كان يقول في تفسير الآية: «يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ»^(١): ليس المراد من الساعة في هذه الآية هو القيامة، بل المراد منها ساعة القيام! و«أَخْفِيهَا»^(٢) التي وردت في القرآن ايضاً تعتبر درساً في الكفاح، أي يتعين التكتّم على وقت الهجوم وان لا يعلم أحد متى يكون وقت الحملة! بينما نحن جميعاً نعلم ان القراءة الصحيحة هي ان المراد من الساعة، القيامة، ولكن كانت لهؤلاء قراءة جديدة وكانوا يفسرون احدى أهمّ المعتقدات الدينية - القيامة - على انها ساعة الهجوم والقيام!

والنموذج الآخر كان القراءة الجديدة لـ «اليوم الآخر» فكانوا يقولون ان المراد من اليوم الآخر هو يوم انتصار الشعب وهو في هذه الدنيا! وكانوا يقولون للاجابة على هذا السؤال: كيف يتقارن الايمان بيوم النصر مع الايمان بالله؟^(٣): انه يجب ان يؤمن الانسان بالنجاح، فمن لا يؤمن بالنجاح والنصر في طريق الكفاح يكون ضعيف الهمة في عمله ولا يحقق النجاح. اذن شرط الاسلام ان يؤمن الانسان باليوم الآخر أي

١. الاعراف: ١٨٧.

٢. طه: ١٥.

٣. في موارد عديدة يذكر القرآن الكريم الايمان بالله ويوم القيامة الى جانب بعضهما، فنقرأ كمثل على ذلك في الآية ٦٩ من سورة المائدة: مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ... فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ...

يؤمن بيوم النصر النهائي.

كان هذا جانباً من القراءات الجديدة التي قدمها الالتقاطيون الماركسيون قبل انتصار الثورة، ونفس الفكرة تُطرح اليوم وبعد انتصار الثورة بصيغة أخرى. وإذا كان اصحاب الميول الماركسية يومها يوظفون النصوص الدينية لصالحهم، فالיום كذلك حيث تُطرح ثقافة الليبرالية الغربية فانها تقدّم قراءة جديدة للاسلام لغرض الترويج لها، وقد أشرنا اليها آنفاً، والفارق الوحيد بينهما هو اذا كان الماركسيون الاسلاميون يتعاملون بهذه الصورة مع بعض الآيات والاحكام، فان لمدّعي تعدد القراءات قراءة جديدة لاصل الاسلام. لا اثر فيها لله والوحي والنبي والامام، ولا امكانية لاثبات صحة أو بطلان اي دين! وهم يصرحون ان القراءة الجديدة للدين على النقيض من القراءة التقليدية وهي تقوم على:

١- ليس في الدين احكام اجتماعية.

٢- العقائد الدينية نظريات وافهام شخصية منوطة بالتجربة الشخصية عن الدين وليس لها قيمة علمية.

٣- ليس ممكناً اثبات وجود الله عملياً وان البراهين الفلسفية لاثبات وجود الله منقوضة. فهل يؤمن اصحاب مثل هذه القراءة بالله وبالاسلام حقاً؟ هذا مثال للفكر الذي يحمله مثقفون يزعمون اليوم انهم يدعون للدين ويدافعون عنه ويطرحون افكارهم الالحادية باسم الدين. فعندما يعلن علماء الاسلام رؤية الدين على اساس منهجية صحيحة من

الاجتهاد والاستنباط، يقول مدّعو تعدد القراءات: لا تجعلوا فهمكم مطلقاً فثمة قراءة اخرى ايضاً.

لو ان هذا الكلام قد قيل في باب بعض الاحكام والمعارف الاسلامية لكان الأمر هيناً الى حدّ ما، بيد ان القضية تكمن في ان لبعض الناس قراءة اخرى لأصل الاسلام! فالتفسير والقراءة الجديدة للاسلام في رأيهم هي ان الانسان قد أصبح في غنى عن الاسلام وقد خلقه الله بنحو يصنع الحضارة ويدير شؤون حياته بعقله ومعرفته، ولغرض استغفال الجهلة تتهم هذه الفئة العلماء والعارفين الحقيقيين بالدين بالدعوة للعنف والتشدد والتعصب الفكري والرجعية... الخ.

بعض عواقب نظرية تعدد القراءات

أ- احياء البدع ونبذ السنن

نظرية تعدد القراءات من الامور التي تؤول الى نبذ السنن الاسلامية واحياء البدع، فعندما يقال «احيوا سنن الاسلام»، يقول أتباع هذه النظرية: أي قراءة للاسلام تقصدون؟ والى أية قراءة تشيرون؟ فانهم سيقولون: ان لدينا قراءة اخرى! وعليه يتعذر ان تكون هنالك قراءة مميزة للدين، ولن تبقى سنة على حالها عملياً كي تُنسب للدين، وهكذا يطرأ الشك والريبة في كافة العقائد والاحكام الدينية رويداً رويداً، ويدلي كل بما يهوى على انه قراءته للدين، وتتمهد الارضية لسن البدع في الدين.

ب - تحول الدين الى لغو وعبث

لو قلنا بتعدد القراءات للدين فستكون نتيجة ذلك انتفاء الفارق في حالتني وجود أو عدم وجود الدين، فالدين الذي يحتمل معاني متناقضة ويخضع لتفسيرات متعددة وبامكان كل شخص فرض رغبته عليه، سيّان وجوده وعدم وجوده. وفي هذه الحالة سيكون عبثاً ولغواً وجود الانبياء ﷺ وتضحياتهم وايتار الشهداء في سبيل الله على مر التاريخ، فاذا كان التوحيد والشرك والتثليث وعبادة الاصنام وسائر العقائد الالحادية صحيحة كلها فلماذا بُعث الانبياء ﷺ اذن؟ فلو اننا قبلنا بوجود قراءات مختلفة للدين فلن يعود هنالك وجود لفهم مقدس وشيء اسمه كلام الله يجب الامتثال له ولا يجوز تجاوزه.

اذا ما نظر امرؤ بعين الاتصاف لمعارف الدين فانه سيدرك بطلان هذه النظرية، والقرآن الكريم يصرّح: «فَمَا ذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ»^(١)، أي ان الحق واحد وما بعده ضلال، ويقول امير المؤمنين عليه السلام: ما اختلفت دعوتان إلا كانت احدهما ضلالة^(٢). وهذا هو الحد الادنى وثمة امكانية بان تكون كلتاها ضلالاً.

تعدد القراءات، اخطر خدع الشيطان

كما اشرنا سابقاً، منذ ان خلق الله آدم عليه السلام وشحذ الشيطان همته للوسوسة

١. يونس: ٣٢.

٢. نهج البلاغة، ترجمة وشرح فيض الاسلام: الحكمة ١٧٤.

له واغوائه هو وذريته وحتى يومنا هذا لم يظهر خطرٌ يداهم الدين اشدَّ من خطر تعدد القراءات، وان هذا الخطر من الشدة بحيث يقضي على جميع اهداف الانبياء عليهم السلام والكتب السماوية.

افترضوا ان اليهود يمتلكون التوراة الاصلية وارادوا الاستفادة منها والعمل بها - ونحن نعتقد ان هنالك مطالب حقة في التوراة الحالية - فاذا ما اراد أحد الاستناد الى جملة معيّنة في التوراة، فسيقال له ان هذه قراءتكم وقراءتنا شيء آخر. وعليه لا يسع اليهودي الاستناد الى التوراة! وهكذا المسيحي اذا اراد الاستناد الى الانجيل، فسيقولون له: هذه قراءتكم وهنالك قراءة بل قراءات اخرى!

ولايراد شاهد في هذا المجال يجدر الانتباه الى كلام قسّ كَنَدِيّ، فلقد اسس هذا القس مذهباً جديداً في المسيحية وسُئل اثناء مقابلة تلفزيونية: الآن حيث ابتدعت هذا المذهب الجديد معتقداً انك تدافع عن الانجيل، فما هو حكم اللواط والمساحقة في رأيك؟ قال في الجواب: «لا استطيع ان أبدي رأيي الآن ولكن اقول لكم على نحو الاجمال يجب ان نقرأ الانجيل من جديد» بينما وُصف هذا العمل القبيح اللانساني في التوراة والانجيل كما هو في القرآن الكريم على انه اقبح الاعمال التي ادت الى نزول العذاب على قوم لوط. ومع ذلك فان هذا القس يقول: يجب قراءة الانجيل من جديد، أي انه قد فسّره بنحو يخلو فيه اللواط من أي اشكال كي يبرر مثل هذا الفعل المتفشي بينهم! واليوم فان الذين

يعتبرون الزواج فعلاً حيوانياً وقبيحاً ولا يعتبرونه لائقاً بالشخصيات الدينية هم انفسهم متورطون بهذه العادة القبيحة للغاية.

واخيراً، كما تقدم قولنا في بحث اهمية شبهة تعدد القراءات فان الامام الصادق عليه السلام يقول عن محنة الامام المهدي (عج) على أيدي معاصريه بعد ظهوره: أتى الناس وكلهم يتأول عليه كتاب الله ^(١) الملاحظة المهمة هي انه عليه السلام لم يقل بعض الناس يستدلون عليه بالقرآن، بل قال ان جميع الناس هكذا يتصرفون معه! بما يعني ان «التفسير التأويلي» والقراءات المتعددة تتفشى بحيث يتقبلها الناس جميعاً وفي ضوئها يجادلون الامام صاحب الزمان (عج) بان ما تقوله ليس صحيحاً وهو قراءتك، اما قراءتنا فهي شيء آخر! وبالتالي يقفون بوجهه ويقاثلونه.

تنبؤ امير المؤمنين عليه السلام بالفتن الثقافية

يقول امير المؤمنين عليه السلام حول منزلة القرآن ومعارفه بين اهل آخر الزمان: «وانه سيأتي عليكم من بعدي زمانٌ ليس فيه شيء اخفى من الحق ولا أظهر من الباطل ولا اكثر من الكذب على الله ورسوله وليس عند اهل ذلك الزمان سلعة أبور من الكتاب اذا تلى حق تلاوته ولا انفق منه اذا حُرّف عن مواضعه ولا في البلاد شيء انكر من المعروف ولا أعرف من المنكر، فقد نبذ الكتاب حملته وتناساه حفظته، فالكتاب يومئذ واهله طريدان منفيان وصاحبان مصطحبان في طريق واحد

١. بحار الانوار، محمد باقر المجلسي: ج ٥٢، الباب ٢٧، الرواية ١٣١.

لا يؤويهم مؤو، فالكتاب واهله في ذلك الزمان في الناس وليس
فيهم، ومعهم وليس معهم، لأن الضلالة لا توافق الهدى وإن اجتمعوا.
فاجتمع القوم على الفرقة وافترقوا على الجماعة، كأنهم أئمة
الكتاب وليس الكتاب إمامهم فلم يبقَ عندهم منه إلا اسمه ولا
يعرفون إلا خطه وزبره»^(١)

حريُّ بأبناء مجتمعنا الاسلامي الالتفات الى تنبؤات القرآن
ونهج البلاغة بشأن الاجيال المقبلة واوضاع الدين وظروفه ومقارنتها مع
الوضع الثقافي الراهن، فاذا ما شعروا بالخطر لما يجدونه من انحراف في
المسير الثقافي للمجتمع فلينهضوا لاصلاح الثقافة الدينية فيه، علينا ان
نسعى للحفاظ على ثغور عقيدتنا وقيمنا الدينية وصيانتها وذلك باتباعنا
للولي الفقيه وعلماء الدين، وعلينا ان نحصن انفسنا ازاء فتن آخر الزمان
وذلك بالاعتداء بالقرآن ونعيش الهاجس والحذر لئلا نكون مصداقاً لهذه
التنبؤات.

على أية حال، هكذا تنبأ امير المؤمنين عليه السلام: «سيأتي من بعدي زمان
ليس شيء اخفى فيه من الحق ولا اشهر من الباطل» وان الكذب
والافتراء على الله ورسوله من اكثر الامور التي يتشبت بها الجهلة
المتظاهرون بالعلم والمنافقون عباد الدنيا لبلوغ مآربهم.

ما يحظى ببالغ الاهمية في هذه الخطبة هو هذا الأمر حيث انه عليه السلام

١. نهج البلاغة، ترجمة وشرح فيض الاسلام: الخطبة ١٤٧.

صَوَّرَ الجَوَّ العامَّ والسائد في المجتمع الاسلامي في المستقبل، وليس ان هذا الانحدار الثقافي يقع في بُعد معيّن ومحدود من المجتمع الاسلامي. من هنا فان كلامه عليه السلام ناقوس خطر جدي لكافة ابناء المجتمع الاسلامي ليكونوا على حذر من التورط في مثل هذه الدوّامة المهولة من الانحراف والفساد الثقافي.

ويبين عليه السلام الروح السائدة على بعض خواص المجتمع بانهم يبالغون بالافتراء والكذب على الله ورسوله ويفسرون القرآن والدين وفقاً لآرائهم ويجرفون الناس نحو الضلال من اجل بلوغ مآربهم الدنيوية. ويقول عليه السلام فيما يخص الثقافة السائدة في اوساط عامة الناس: ان ازهد شيء عند اهل ذلك الزمان سيكون القرآن اذا فُسر وتلي حق تلاوته، واكثر شيء رواجاً وازدهاراً عندهم ان هو فُسر على اساس الاهواء النفسية، وابتغض الاشياء في نظر اهل ذلك الزمان القيم الدينية والالهية، واحبّها اليهم القيم المنافية للدين!

ويواصل عليه السلام كلامه فيصرح: لا يبدر من العلماء بكلام الله في ذلك الزمان سوى الاهمال، ومن حفاظ القرآن الذين مهمتهم صيانة القيم الدينية سوى التناسي والتنصّل عن اداء الواجب، وان القرآن واتباعه الصادقين في ذلك الزمان وعلماء الدين معزولون عن الناس والناس بمنأى عنهم وان كانوا بين ظهرانيهم، لان الناس يقصونهم ولا يتبعونهم، وهم بالرغم من مكوثهم في اوساط الناس لكن قلوب الناس ليست

معهم، لان الناس قد سلكوا طريق الضلال وهو لا يجتمع مع طريق الهداية، واهل ذلك الزمان يجتمعون على الفرقة وكأنهم قد اتفقوا مع الجهلاء المتظاهرين بالعلم على ان لا ينسجموا مع القرآن ومفسريه الحقيقيين، وفي ذلك الزمان يفسر الناس القرآن وفقاً لأهوائهم النفسية وينأون بانفسهم عن المسلمين الحقيقيين وعلماء الدين والمفسرين الحقيقيين للقرآن، وبدلاً من ان يجعلوا القرآن إماماً وقائداً ومرشداً لهم عملياً وفكرياً، يتقدمونه ويجعلونه وراء ظهورهم ويأبون امامته وقيادته ويفسرون القرآن والدين حسب آرائهم.

واليوم نشهد ان اعداء القرآن يحاولون ترويج مثل هذه الثقافة في مجتمعنا، وبهجومهم على المقدسات الدينية وترويج القيم المنافية للدين يسعون لخلق الوضع الذي تنبأ به ﷺ في خطبته في مجتمعنا تدريجياً. وحرى بنا التأكيد هنا بان علينا ان نتمعن اكثر في حقيقة معنى القراءات المتعددة للدين ونتفكر في العواقب والنتائج الهدامة لهذا الفكر الالاحادي كي يتسنى لنا ادراك الاهداف التي يرمي اليها القائلون والمخططون لهذا الفخ الشيطاني وعمق تحركهم، ولعل من احدي الحُكم من وصف القرآن الكريم في العديد من الآيات بـ«المبين»^(١) هو التصدي للافكار الضالة من قبيل القراءات المتعددة، ولئلا يتذرع أحد

١. مثال هذه الآيات عبارة عن: «تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ» [الحجر: ١]، «بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ» [الشعراء: ١٩٥]، «تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ» [النمل: ١]، «قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ» [المائدة: ١٥].

بغموض أو عدم فهم معنى القرآن ومراده.

ان أصحاب تعدد القراءات من مصاديق اصحاب البدع في الدين الذين يطرحون رغباتهم النفسية تحت غطاء القراءة الجديدة للدين. وفي الخطبة ١٧ من نهج البلاغة يصف أمير المؤمنين عليه السلام اصحاب البدع بما يلي:

«ان ابغض الخلائق الى الله رجلان: رجلٌ وكلهُ الله الى نفسه فهو جائر عن قصد السبيل مشغوف بكلام بدعةٍ ودُعاء ضلالة، فهو فتنة لمن افتتن به، ضالٌّ عن هدي مَنْ كان قبله، مُضِلٌّ لمن اقتدى به في حياته وبعد وفاته حمالٌ خطايا غيره رهنٌ بخطيئته؛ ورجلٌ قمش جهلاً مُوضِعٌ في جُهاال الأمة، عادٍ في اغباش الفتنة، عمٌ بما في عقد الهدنة، قد سمّاه اشباه الناس عالِماً وليس به، بكرٌ فاستكثر من جمع ما قلّ منه خيرٌ مما كثر، حتى اذا ارتوى من ماءٍ آجنٍ واكثر من غير طائل جَلَسَ بين الناس قاضياً ضامناً لتخليص ما التبس على غيره....»

في هذه الخطبة يصف عليه السلام فئتين من الناس على انهم ابغض الخلق واشنائهم عند الله، والبغض عند الله انما يعنى الحرمان من الفيض واللفظ والاحسان الالهي، وانما يعدّ هؤلاء من ابغض الناس عند الله لانهم ضالون منحرفون ظالمون لانفسهم، ولانهم يتسببون في اضلال الآخرين وصدّهم عن صراط الحق والمعرفة الصحيحة للمعارف الالهية.

فالفئة الاولى وكلهم الله لانفسهم لانهم تمردوا على طاعة الله وهم لا يتوكلون ولا يعتمدون على الله، وبدلاً من ان يعتمدوا على الله اعتمدوا

على انفسهم . فهم يحسبون انفسهم مستقلين في تشخيص المصالح
ونيلها، ظانين ان لهم القدرة على بلوغ مرامهم اعتماداً على أفهامهم
وآرائهم ونظرياتهم الباطلة. فيقول عليه السلام في وصفه لكل فرد من هذه الفئة
انه: وكله الله الى نفسه.

ولا شك في ان الغفلة عن الله والطرد عن رحابه والحرمان من هدايته
اسوء عذاب يُبتلى به الانسان. وهذا مصير الذين يسقطون في ادنى درك
الانحطاط والسقوط طبقاً لسنة الاستدراج الالهي.

ان هذه الفئة شديدة الولع للبدعة في الدين ودعوة الناس للضلال
واشاعة الباطل، واللطف انه عليه السلام يستخدم مفردة «مشغوف» للتعبير عن
رغبتهم وشوقهم للبدعة والحدائث الطارئة على الدين، وهذا التعبير ينبئ
عن اندفاعهم ورغبتهم الشديدة التي غمرت قلوبهم وتأصلت في
سويداء افئدتهم، مثله في ذلك كالوصف الذي اراد الله ان يعبر به عن
عشق زليخا وحبها الشديد الذي لا يوصف ليوسف عليه السلام اذ يقول: «قَدْ
شَغَفَهَا حُبًّا»^(١) أي ان حبَّ يوسف استقرَّ في سويداء قلب زليخا.

ويرى امير المؤمنين عليه السلام هذه الفئة من المنحرفين انهم يسعون باندفاع
وحماس شديدين لخلق البدع في الدين والترويج لابداعاتهم المزيفة
وتضليل الآخرين عن الصراط المستقيم، وبالرغم من ان صراط الحق واضح
امام الجميع، وان هؤلاء على علم بان الآخرين واسلافهم قد سلكوا طريق

الحق إلا أنهم ولغرض تنفيذ اهوائهم النفسية والشيطانية وطرح انفسهم يسعون وراء خلق البدع والتفوه بكلام جديد لا اساس له حول الدين.

ان هؤلاء الذين يتربعون على سدة القيادة الفكرية والعقائدية للناس ظلماً والعامّة بدورها تتلقّى عنهم انما يضلّون الناس بل ويتسببون باضلال الاجيال القادمة بطرحهم لافكارهم وآرائهم الباطلة. من هنا بما ان بدعهم وافكارهم الباطلة تجرف اهل زمانهم واجيال المستقبل نحو الانحراف فان مسؤولية جميع هذه الانحرافات تقع على عواتقهم، وفي الحقيقة انهم يتحملون خطاياهم وخطايا الآخرين، وقد جرت الاشارة في بعض الآيات والروايات الى ان البعض يحملون اوزارهم واوزار غيرهم ايضاً، وهذا بطبيعة الحال لا يعني ان المذنبين لا يتحملون المسؤولية ازاء معصيتهم، بل انهم مسؤولون في قبال ذنوبهم، ولكن بالاضافة الى ذلك فان صانع البدعة يشاطرهم في ذلك ايضاً، ويزداد وزر خطاياهم كلّما ظهر انحراف جراء البدعة التي سنّها حتى يوم القيامة.

يقول الامام الصادق عليه السلام بهذا الصدد:

«أَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ سَنَّ سُنَّةً هَدَىٰ كَانَ لَهُ أَجْرٌ مِثْلُ مَنْ عَمِلَ بِذَلِكَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْوَرِهِمْ شَيْءٌ. أَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ سَنَّ سُنَّةً ضَلَالَةً كَانَ عَلَيْهِ مِثْلُ وَزْرِ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوزَارِهِمْ شَيْءٌ»^(١).

١. بحار الانوار، محمد باقر المجلسي: ج ٧١، الباب ٧٢، الرواية ٥.

الفئة الثانية من ابغض الناس عند الله هم الذين خلطوا مجموعة من الجهالات والآراء الواهية الخاوية مع بعضها وتبوؤا مكانة ومنزلة في المجتمع وبين الناس عن طريقها، وهم يتشبثون بهذه المكانة الزائفة الكاذبة للوصول إلى المناصب والوظائف الاجتماعية والزعامة على الناس والاستحواذ على المناصب القضائية، ولا شك في ان هذه الفئة الجاهلة باحكام الله وتعاليمه وقضائه والمصالح الواقعية للناس لا طائل منها سوى مصادرة حقوق الناس وتعطيل التنمية والتطور الشامل في المجتمع.

وبعد ذمه لهاتين الفئتين من خواص المجتمع يشتكي امير المؤمنين عليه السلام من عامة الناس وسوادهم ايضاً لماذا مكثوا في الجهل والعمى وجعلوا مصيرهم ضلالاً وانحرافاً:

«إلى الله اشكو من معشر يعيشون جهالاً ويموتون ضلالاً ليس فيهم سلعة أبور من الكتاب اذا تلى حق تلاوته ولا سلعة انفق بيعاً ولا اغلى ثمناً من الكتاب اذا حُرِّف عن مواضعه، ولا عندهم انكر من المعروف ولا اعرف من المنكر».

وكما اشرنا فانه عليه السلام قد ذم في خطبته الاولى البدعة والتحديث في الدين مما لا يتلاءم مع قواعد واصول الدين المسلّم بها، وللأسف فقد اتسع هذا الأمر وتفاقم في زماننا واخذ يهدد بشكل جدي الدين برمته والعقائد الدينية. هنالك فئة تأثرت بالمذهب المادي والاشتراكي فحاولت من خلال مزجها بالمعارف الاسلامية تقديم فكرة ونظرية جديدة وبراقة،

فجعلهم الطبيعة أصلاً وغاية - مثلاً - يوجزون رسالة الاسلام في انه جاء ليدعونا الى معرفة القوانين الثابتة التي لا تقبل التغيير في الطبيعة! أو انهم يقولون في تفسير «الله اكبر» ان الله اكبر من ان تُنتهك سننه في الطبيعة! أو ما تقدمه فئة اخرى ممن يُصطلح عليهم المثقفون الاسلاميون ممن تأثروا بالمذهب الليبرالي، من آراء تقوم على اصول الليبرالية والعلمانية.

موقع البدعة في الروايات

لا بأس في خاتمة هذا البحث ان نلقي نظرة سريعة على تعريف البدعة وعدد من الروايات الواردة بشأنها.

ورد في المعنى اللغوي للبدعة انها إحداث شيء لم يكن له من قبل خلق ولا ذكر ولا معرفة^(١)، ويُصطلح على البدعة شرعاً: البدعة عبارة عن ادخال شيء في الدين وهو في الحقيقة ليس منه.

لا شك في ان ابرز اسباب تنامي البدعة في المجتمع السياسات المنافية للدين التي يمارسها الحكام والحروب والفتن وحالات العداء التي تستهدف الدين، كما لا ينبغي هنا تجاهل دور الجهل والتساهل واللاأبالية في أمر الدين والسطحية في تلقي احكام الدين وامثالها والخلط بين الحلال والحرام وكذلك حصر الدين بالامور العبادية واقصائه عن مسرح الحياة الاجتماعية، وفي ضوء العاقبة الوخيمة للبدعة بالنسبة للدين والمجتمع يقول أمير المؤمنين عليه السلام:

١. كتاب العين، الخليل بن احمد الفراهيدي: ج ٢، ص ٥٤.

«وما أحدثت بدعة إلا تُرك بها سُنَّة، فاتقوا البدع، والزموا المهيَّع، إن عوازم الامور افضلها وإن محدثاتها شرارها»^(١).

ويقول رسول الله ﷺ في عاقبة البدعة وذمها:

«لا يذهب من السنة شيء حتى يظهر من البدعة مثله حتى تذهب السُّنة وتظهر البدعة، حتى يستوفي البدعة من لا يعرف السُّنة! فمن احيى ميتاً من سنتي قد أُميتت كان له أجرها وأجر من عمل بها من غير ان ينقص من اجورهم شيء، ومن ابدع بدعة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص من اوزارهم شيء»^(٢).

وقال ﷺ ايضاً:

«إياكم والبدع فان كل بدعة ضلالة وكل ضلالة تسير الى النار»^(٣).

وقال ﷺ في موضع آخر:

«من احدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»^(٤).

أي ردّ سنّتنا.

رسالة العلماء الصادقين في مواجهة البدع وتعدد القراءات

إذا ما نشبت نار في غابة فانها تمتد وتزداد اتساعاً رويداً رويداً، وإذا لم تُخمد فانها تأتي على الغابة بأكملها، وهكذا حكم البدعة بالنسبة للدين، فالبدع تؤدي الى إضعاف أسس العقائد واصولها وإحلال العقائد

١. نهج البلاغة، ترجمة وشرح فيض الاسلام: الخطبة ١٤٥.

٢. كنز العمال، علي المتقي الهندي: ج ١، ص ٢٢١.

٣. نفس المصدر.

٤. نفس المصدر: ص ٢١٩.

والخرافات الفاسدة والخاطئة محل العقائد الدينية الاصيلية وتقديم صورة مزيفة عن الدين امام المجتمع. وبالنتيجة فان البدع تبتعد بالمجتمع عن اصل الدين وتجعله يتقبل ديناً صاغته ايدي البشر بما ينسجم مع اهواء ونزوات اصحاب النظريات الذين أتحفوه بمثل هذا التحفة!

من هنا فان رسالة العلماء الصادقين والشجعان الذين يقتحمون المخاطر جسيمة جداً في مواجهة موجة البدع والاحداث الكاذبة في الدين التي تُطرح بين الفينة والاخرى تحت ستار قراءة جديدة ووهمية للدين، وهي بطبيعة الحال دخيلة على الدين وقيمه واصوله. فعليهم اقتحام صفوف ذوي البدع وانتشال جوهر الدين من الاضمحلال والزوال بما يمتلكون من هدي وصراحة، وتعريف المجتمع بالدين الالهي الحنيف. انهم يتحملون مسؤولية الحيلولة دون تهميش العقائد الصحيحة بواسطة البدع والخرافات، وبالتالي يفلح اصحاب الاهواء والانتهازيون واعوان الشيطان في تكبيل الدين والقيم الالهية بمصائدهم والتسبب في تفشي الجهل والغفلة عن جادة الهدى والمسيرة الصحيحة.

وعليهم - بالطبع - استقبال الاخطار بالمهج في هذا الجهاد الثقافي العظيم المقدس وعدم الرهبة من التُّهم وما يُلصق بهم وما يشنه الجهلة من هجمات، ولا شك في ان كلام الامين على الوحي الالهي، النبي الاكرم ﷺ يمثل تحذيراً جدياً لعلماء الدين كي لا يغفلوا لحظة واحدة عن رسالتهم وواجبهم الحساس والخطير، اذ يقول ﷺ: «إذا ظهرت البدع

في امتي فليُظهر العالم علمه، فمن لم يفعل فعليه لعنة الله»^(١).

سوف يُسأل علماء الدين يوماً: ماذا فعلتم في مواجهة هذه الفتن؟ هل رأيتم علامات الفتن في زمانكم أم لا؟ هل سمعتم بالقراءات المتعددة و«التفسير التأويلي» لنصوص الدين أم لا؟ هل عملتم بواجبكم ازاءها؟ فيُسأل مَنْ هو مثلي: هل قمت بواجبك أم ضربت بخاتم السكوت على شفتيك حينما تعرضت للوم من مسؤولي البلاد ولذت بالصمت خوفاً من إساءة بعض الصحف واتهاماتها ومن جفاء الاصدقاء والمعارف؟ فهل يُقبل عذري في هذه الحالة؟ فاذا لم نقم بواجبنا فسيقوم اولياء الله بواجبهم. هؤلاء الذين لا يخافون لومة لائم: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ»^(٢).

في هذه الآية اشارة الى مرحلة ما بعد وفاة النبي ﷺ وتحذر المسلمين في خطرٍ هو ان أناساً سيرتدون عن دينهم، وتصرح ان لا ضير إن ارتدوا عن دينهم فسيبعث الله بدلاً عنهم أناساً يحبهم الله ويحبونه ميزتهم التذلل والتواضع للمؤمنين والاستئناس بهم لكنهم في غاية الشدة امام اعداء الدين والكافرين ولا يبدون مرونة ازاء الجبابرة اصحاب

١. اصول الكافي، الكليني: ج ١، ص ٥٤.

٢. المائدة: ٥٤.

الثروة والقوة، كما أنهم لا يخافون لومة لائم وهم يخوضون الجهاد^(١)، فالجهاد (العسكري والثقافي) يطلق فيهم السنة اللائمين لكنهم لا يرهبون من ذلك. ومن هذا يعلم ان المجاهدين في سبيل الله يتعرضون للاتهامات واللوم، ولو لم يكن هنالك لوم فلماذا كان نزول هذه الآية؟

لو اردنا ان نكون شيعة حقيقيين فعلينا ان نعدّ انفسنا للوقوف بوجه الفتن كميثم التمار وحجر بن عدي وعمرو بن الحمق وغيرهم الذين استشهدوا على يدي معاوية ويزيد، فلم يتخلّ اولئك عن مدح علي عليه السلام والثناء عليه. قطعوا سنتهم وعُلّقوا على اعواد المشانق وبقيت جثث بعضهم معلقة مدة من الزمن. فلو كنا شيعة حقاً فعلينا أن نستعدّ مثلهم لثلاث نزهة شيئاً لدى اداء الواجب وقول الحق.

لو اغتالونا واستشهدنا فتلك مفخرة عظيمة ويسهل تجرعهما، ولكن من الصعب تحمّل لوم الاصدقاء، وان الذين يختارهم الله لإحياء الدين لا يخافون حتى لوم الاصدقاء!

فلو لم نستلهم الدرس من هذه الآية ولا نتمرس ولا نستعد لأداء

١. قال الامام الخميني رحمه الله: لقد قطعت امريكا علاقتها بايران وانني اتفأل خيراً من ذلك لأنه دليل على قطع امريكا املها من ايران (صحيفة النور: ج ٢، ص ٤٠)، وقال ايضاً: ان امريكا لا قدرة لها على ارتكاب أية حماقة (نفس المصدر: ج ١٠، ص ١٤٩)، وقال ايضاً: انزلوا ما لديكم من صرخات على رأس امريكا (نفس المصدر: ج ١٧، ص ٧٣) لكن الامام نفسه كان رؤوفاً متواضعاً امام الفقراء والقوى الشعبية وعوائل الشهداء بحيث انه كان يقول: انني أقبل ايدي هؤلاء (نفس المصدر: ج ١٠، ص ٢١٩ وج ٢١، ص ٢٥٣) وقال ايضاً: يا ليتني كنت واحداً من حُرّاس الثورة (نفس المصدر: ج ١٦، ص ٦).

مسؤوليتنا في مواجهة الفتن الثقافية، فإما أن نقع في فخ مثيري الفتن أو الأسوء من ذلك أن نلتحق بزمرة اللاهثين وراء الفتن، أولئك الذين يقيمون علاقاتهم وينضوون ضمن حزب وتنظيم بحيث يتصرفون خلافاً للقرآن^(١).

ولكي لا نقع في هذا الفخ علينا في البداية أن نعرف الإسلام جيداً، ومن ثم لا نرهب أية قوة حين العمل، والّا فلن نكون علويين أو حسينيّين بالشعارات والصراخ. وكما قال قائد الثورة الإسلامية «يحب أن تكون السيرة علوية» والّا فإن شعار العزة والالتزام بالإسلام وغير ذلك كان موجوداً في كلمات الشاه المقبور وغيره أيضاً.

١. يتولى عليها رجال على غير دين الله، نهج البلاغة، ترجمة وشرح فيض الإسلام: الخطبة ٥٠.

الفهرس

المقدمة.....	٥
--------------	---

الفصل الاول: بيان الادعاء ومقومات الظهور

معنى القراءة.....	١١
ادعاء نظرية تعدد القراءات.....	١٢
المهّدات لطرح نظرية تعدد القراءات في الغرب.....	١٣
١- عدم انسجام مضمون الكتاب المقدس مع الاكتشافات العلمية.....	١٣
٢- النزاعات الدينية.....	١٦
الغايات والدوافع من طرح موضوع تعدد القراءات في ايران.....	١٨
١- الدافع السياسي.....	١٨
٢- الدافع النفسي.....	٢١
المهّدات لنموّ نظرية تعدد القراءات في ثقافتنا.....	٢٢
١- القراءات المختلفة لآيات القرآن.....	٢٢
٢- وجود الآيات المتشابهة.....	٢٥
٣- التفسير بالرأي.....	٢٥
٤- تأويل الآيات.....	٢٦
٥- تعدد تفاسير بعض الآيات.....	٢٧
٦- البحث في ظاهر وباطن القرآن.....	٢٧
اهمية شبهة تعدد القراءات.....	٢٧
سابقة تعدد القراءات في الاسلام.....	٣١

الفصل الثاني: الذرائع

٣٩	الذريعة الاولى: تميز الآيات القرآنية بأن لها باطناً
٤٤	توضيح حول التفاسير الباطنية
٤٥	إشارة الى الأدلة على وجوب الاهتمام بظاهر القرآن
٤٦	الذريعة الثانية: وجود المتشابهات في القرآن
٤٧	منشأ بحث المتشابهات
٤٨	طريقة التعامل مع الآيات المتشابهة
٥٠	الذريعة الثالثة: الاختلافات الطائفية وتعدد الفتاوى
٥١	الذريعة الرابعة: وجود تاريخ لأحكام الاسلام
٥٣	الذريعة الخامسة: رمزية لغة الدين
٥٥	نموذج من التفسير الرمزي للقرآن
٥٧	تشبيه تعدد القراءات للنصوص الدينية بتعدد الاستنباطات من النصوص الأدبية
٥٨	تعارض القراءات المتعددة مع الأدلة العقلية والنقلية
٥٩	التفسير التأويلي «هرمنوتيك» وتعدد القراءات
٦٢	التمثيل في موضوعات القرآن

الفصل الثالث: بيان للنظرية التي نختارها

٦٧	مستوى تأثير الافتراضات السابقة في فهم النص
٧١	وجود العلم اليقيني في كل دائرة علمية
٧٢	المسائل اليقينية وغير اليقينية في الدين
٧٤	العلّة في كون بعض احكام الدين غير يقينية
٧٤	أ - ضعف السند
٧٥	ب - ضياع القرائن على الروايات
٧٥	ج - انقراض الكثير من الاحاديث
٧٧	عدم شمولية الفتاوى الخلافية

٧٧	 اقتصار الفتوى والتنظير على المتخصصين
٧٩	 انكار احدى ضرورات الدين والارتداد
٨٢	 حدود القبول بالقراءات المتعددة
٨٢	 أ- قراءة الالفاظ
٨٢	 ب- تعدد معاني المفردات
٨٣	 ج- خضوع بعض الاحكام الفقهية لتعدد القراءات
٨٣	 نفي خضوع جميع الاحكام لتعدد القراءات
٨٦	 عدم تحمل العقائد الاساسية لتعدد القراءات
٨٧	 شروط تعدد القراءات في النصوص
٨٨	 نماذج من القراءات الباطلة
٩٢	 بعض عواقب نظرية تعدد القراءات
٩٢	 أ- احياء البدع ونبد السنن
٩٣	 ب- تحول الدين الى لغو وعبث
٩٣	 تعدد القراءات، اخطر خدع الشيطان
٩٥	 تنبؤ امير المؤمنين عليه السلام بالفتن الثقافية
١٠٣	 موقع البدعة في الروايات
١٠٤	 رسالة العلماء الصادقين في مواجهة البدع وتعدد القراءات